العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

ج٧ و٨ و٩ س ٦٢

محرّم - ربيع الأوّل ١٤٤٨هـ

تموز-أيلول/يوليو-سبتمبر ٢٠٢٦م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

- أخبار الجمّاز وأدبه
  نظرات وتعليقات
  د. سعود بن سليمان اليوسف

- نظرات في تحقيق شرح القصائد المعلقات: الحلقة الثالثة
  أ. محمد بن محمدي

- ثقافة المحدثين الورّاقين:
  الوراقون المحدثون في الكتب الستة نموذجًا
  أ. محمد مدحت المطوعي

- دراسة اللغة العربية بين موريسكيي أراغون بحسب: مخطوطات ألموناثيد دي لا سييرا
  ترجمة: أكرم سعيد

- أعلام العرب:
  هيلة بنت عبدالعزيز العنقري:
  اختيار حمد الجاسر وشريكة مجده
  أ. سليمان بن أحمد التركي

- مكتبة العرب: معجم اللغويين السعوديين ونتاجهم البحثي
  د. خالد بن فهد العتيبي

arab@hamadaljasser.com

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء السابع والثامن والتاسع - السنة ٦٢

محرم - ربيع الأول ١٤٤٨ هـ

تموز - أيلول / يوليو - سبتمبر ٢٠٢٦م

رئيس التحرير

أ.د. عبدالله بن سليم الرشيد

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. أسعد بن سليمان بكر عبده

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابيّ

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع

أ.د. خالد بن عبدالكريم البكر

د. خالد بن عايش الحافي

مدير التحرير

د. خالد بن فهد العتيبيّ

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - شارع الشيخ عبدالله العنقري - حي الورود

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

١٢٠ ريالاً للأفراد و٣٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ٢٠ ريالاً

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

رد مد (ISSN) : ۲۶۷۱- ۱۳۱۹

الفهرس

أخبار الجمَّاز وأدبه نظرات وتعليقات	د. سعود بن سليمان اليوسف	٣٨٧
نظرات في تحقيق شرح القصائد المعلقات:		
الحلقة الثالثة	أ. محمد بن محمدي	٤٤٩
ثقافة المحدثين الورَّاقين:		
الوراقون المحدثون في الكتب السته نموذجًا	أ. محمد مدحت المطوعي	٤٩٥
دراسة اللغة العربية بين موريسكيي أراغون		
بحسب: مخطوطات ألموناثيد دي لا سييرا	ترجمة: أكرم سعيد	٥٣٣
أعلام العرب:		
هيلة بنت عبدالعزيز العنقري:		
اختيار حمد الجاسر وشريكة مجده	أ. سليمان بن أحمد التركي	٥٥٥
مكتبة العرب: معجم اللغويين		
السعوديين ونتاجهم البحثي	د. خالد بن فهد العتيبي	٥٦٩

أخبار الجمَّاز وأدبه
نظرات وتعليقات

د. سعود بن سليمان اليوسف

مدخل

حفل تراثنا الأدبي بأدب النادرة في سِيَر الظرفاء؛ لأنها مما تستريح إليه النفوس، وتتخلص به من الجِدّ، وقد قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "أَجِمّوا هذه القلوب، والتمسوا لها طُرَفَ الحكمة، فإنها تملّ كما تملّ الأبدان، والنفس مؤْثرةٌ للهوى، آخذةٌ بالهُوَينى، جانحة إلى اللهو، أمّارة بالسوء، مستوطنة للعجز، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتَها أنْضَيتَها، وإن أهملتَها أرديتَها"[1]، وأرجو أن تكون هذه الدراسة من الإحماض الذي ندب إليه بعض السلف.

لقد دفعني اكتناز تراثنا الأدبي بكل ما هو ممتع ومُسلٍّ إلى أن أنقّب فيه وأفتش، وخاصة أني لحظتُ تردُّدَ اسم أحد الظرفاء العرب في مصادر الأدب، وهو الجمّاز، فرأيت أن أستعرضَ أخباره، وأدبه، وأدرسها، وقد شُدِهتُ حين قطعتُ شوطًا في ذلك من أن معظم أخباره منطوٍ على إسفاف ومجون، ومع هذا فقد أثبتُّ كل ما وقعتُ عليه من أخباره؛ واضعًا نقاطًا موضع كلّ لفظ صريح.

---

(١) العقد الفريد، ٨٢/٨، ولعل (مستوطنة) مصحّف عن (مستوطِئة).

لقد مرّ المجتمع العربي بتغيّر في المفاهيم نتج عن نشوء الحضارة الجديدة والمدنيّة التي انفتحت على الدَّعَة والترف، فكان الظرف والتندّر ظاهرةً من ظواهرها، ونتيجة من نتائجها، ولعل مما يعضد هذا الرأي أن طائفةً من الظرفاء والمتحامقين والمتماجنين أصبحوا لا عمل لهم إلا هذا؛ لأنه صار حرفةً ومجالاً للتكسب يغني عن العمل والبيع والشراء[١]، وتأمل حديثهم عن أبي العَبَر الذي "ما كان إلا أديبًا فاضلا، ولكنه رأى الحماقة أنفقَ وأنفعَ له؛ فتحامق"[٢]، ولا أدلَّ على ذلك من أن طائفة من الخلفاء والأمراء قد اختصّوا لأنفسهم مُضْحِكين يسامرونهم ويندامونهم، بل لقد نصَّ الأصمعي وهو ذو السمت والوقار على أن المُلَح من أسباب النَّيل قائلاً: "بالعلم وصلنا وبالمُلَح نِلنا"[٣]، إضافة إلى ما سبق فإنّا نقرأ أن بعض الأمراء كان مجلسه آخذاً في الوقار بالحديث عن الزهد وإنشاد الشعر في غرضه، فما هو إلا أن يستدعيَ أحدَ الظرفاء، روي عن العباس بن عبدالله بن سِنان بن عبدالملك بن مسمع قوله: "كنت عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذٍ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد؛ فقال لي قُثَمُ: يا عباس، اطلب لي الجمّاز الساعة حيث كان فجئني به، ولك سَبَق، فطلبته؛ فوجدته جالساً ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان،

(١) انظر: عقلاء المجانين، ٥٦، والتكسب بالتحامق والرقاعات في الشعر العباسي – تحليل ثقافي، ١٠٢.

(٢) انظر: الأغاني، ١٧٥/٢٣.

(٣) جمع الجواهر في المُلَح والنوادر، ٢٦.

فقلت له: أجب الأمير. فقام معي حتى أتى قُثَم، فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده، ثم قام إليه الجمّاز فواجهه، وأنشد قولَ سلم الخاسر فيه:

ما أقبح التزهيد من واعظٍ ... يزهِّد الناسَ ولا يزهدُ
لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ

وذكر الأبياتَ كلها، فقال أبو العتاهية: من هذا أعزَّ الله الأمير؟ قال: هذا الجمّاز، وهو ابن أخت سلم الخاسر، انتصرَ لخاله منك حيث قلت له:

تعالى الله يا سلمَ بنَ عَمْروٍ ... أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

قال: فقال أبو العتاهية للجمّاز: يا ابن أخي، إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذهب خالك، ولا أردتُ أن أهتف به، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذهبتَ من الحرص على الرزق، والله يغفر لكما. ثم قام فانصرف"[1].

وهذا الخبر يُظهرنا على طائفة من الأمور، منها: أن جنوح النفس إلى الهزل أكثر من الجد هو لدى عِلية القوم كما أنه لدى عامّتهم. وكذلك نستدل به على شدّة نُفوق بضاعة الهزليين والمُجّان فها أنت ذا ترى أن قثم أميرَ البصرة لو اكتفى بأن أمر بطلب الجمّاز لنُفّذ أمره على وجه السرعة، ومع هذا فقد رصد سَبَقاً (مكافأة) لمن يُحضره وكأنما هو

(١) الأغاني، ١٩/١٩٣-١٩٤. والسَبَق بفتح الباء: ما يجعل من المال رَهْنًا على المسابقة. لسان العرب، مادة (سبق).

شديد الكلف باللهو ولا يرى بأساً أن ينزل مجلسه من درجات الوقار إلى دركات العبث مع عِلمه بما قد يصدر عن هازل كالجمّاز من كلام ربما يسيء إلى سمتِ مجلس الأمير.

بل لقد بلغ الحال بالظرفاء أن يُعَدّوا من أعيان المجتمع، ولا أدلّ على ذلك من أنك تطالع سِيَرهم في أسفارٍ من قبيل: يتيمة الدهر[١]، ووفيات الأعيان[٢]، ودمية القصر[٣]، وأعيان العصر وأعوان النصر[٤] ... إلخ، وقال أبو نواس مصرّحاً بذلك:

إني أنا الرجل الحكيم بطبعه ... ويزيد في علمي حكاية من حكى

أتتبّع الظرفاء أكتب عنهمُ ... كيما أحدّث من أحبّ فيضحكا[٥]

ولم يقف الأمر عند عدِّهم من الأعيان فحسب، بل راح أصحاب التراجم يتمارون فيهم ويوازنون بينهم أيهم له الفضل في هذه المُلحة، وتلك الحماقة، وذلك المجون[٦]!

بل ربما خصّ العلماءُ هذه النوادر والمُلَح بكتب من قبيل البخلاء للجاحظ، وجمع الجواهر في المُلَح والنوادر للحصري.

---

(١) انظر: تدوين المجون في التراث العربي، ٢٨٨.

(٢) انظر حديثه عن صريع الدلاء في: ٣/٣٨٣-٣٨٤.

(٣) انظر حديثه عن المشطب الهمذاني في: ١/٥٥٠.

(٤) انظر حديثه عن شرف بن أسد المصري في: ٢/٥١٢-٥١٣.

(٥) زهر الآداب، ١/٢٠٤.

(٦) انظر مثالًا على ذلك: طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٤١، والوافي بالوفيات، ١/١٣٢، وأعيان النصر وأعوان النصر، ٤/٥٥١، والورقة، ١٢٨، قال ابن الجراح موازنًا بين الفضل بن هاشم وأبي العبر: "وله أشعار في الأقذار، يصف نفسه بشهوتها...، وقد قال أبو العبر الهاشمي شعرًا كثيرًا في هذا المعنى، ولكن الفضل أسبق"، وانظر كذلك: التكسب بالتحامق والرقاعات في الشعر العباسي، ١١١.

اسمه ونبذة من سيرته

هو محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن يسار، وقيل: ابن ياسر، وقيل: ابن رَيسان، وقيل: ابن زبّان، وقيل: ابن ريان، وقيل: ابن حماد، أبو عبدالله مولى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-[١]، نشأ في البصرة، ودخل بغداد في أيام الرشيد، ثم عاد إلى البصرة في أيام المتوكل[٢]، وتوفي نحو سنة خمسين ومئتين للهجرة[٣]. ولعل هذا التشريق والتغريب في اسمه هو أول مظهر من مظاهر شخصيته الظريفة؟!

و"لُقِّب الجمّازَ لأنه كان يركب الجمّازة، وهي من المحامل"[٤]، والجمّاز لقب لمن يركب الجمّازة ويسيّرها[٥]، إلا أني أستبعد أن يكون لقبه هذا من ركوبه الجمّازة، ولو كان الأمر كذلك للُقِّب به كلُّ مَن كان يركب الجمّازة، كما أن من يركب الجمّازة يسمّى المجمِّز لا الجمّاز[٦]، يضاف إلى ذلك أني لم أجد في أخباره ما يدل على عمله، ولا أستبعد أن يكون المراد بالجمّاز ما عثرت عليه في المعاجم، فإما أن يكون محمد الجمّاز مستهزَأً به فيكون معنى الجمّاز هو (الحمار)، وإما أن يكون

---

(١) تاريخ مدينة السلام، ٢١١/٤، ووفيات الأعيان: ٧٠/٧.

(٢) انظر: معجم الشعراء، ٤٣١، والبخلاء، ٣٤٧، وطبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٣، ووفيات الأعيان، ٧٠/٧.

(٣) انظر: الوافي بالوفيات، ٣٤٧/٣.

(٤) أدب الخواص، ٦٦/١ (الحاشية)، والمعلومة منقولة من تاج العروس، مادة (جمز)، وانظر: الأنساب للسمعاني، ٨١/٢.

(٥) انظر: الأنساب للسمعاني، ٨١/٢.

(٦) نقل ابن منظور أن: الجماز: البعير الذي يركبه المُجمِّز. لسان العرب، مادة (جمز).

ملقباً بالجمّاز لكثرة استهزائه بسواه فيكون المعنى أيضاً (المستهزِئ)؛ لأن من معاني الجمز الاستهزاءَ[١].

ويستبين من أخباره أنه كان من جلساء المتوكل، وقد رُوي أنه قال له: "أي شيء أهديتَ لي يوم العيد؟ قال: حلقتُ رأسي"[٢]. وهذا جوابُ من هو ذو دالّةٍ ومعرفةٍ بما يريده الخليفة من الجواب، وستأتي لاحقًا بعض أخبارهما.

ومن أخباره أنه كان صديقاً لأبي نواس، والجاحظ، وأبي العيناء، وحسبك بهذه الأسماء في الظَّرف والنوادر، ويظهر أن سوق النادرة في عصرهم كانت رائجة[٣]؛ فإن الميل إلى اللهو والتماجن قد فشا في العصر العباسي؛ إذ "ظل طابع الجدية غالباً على الدولة طَوال عهد المنصور، ولكن ما كاد ابنه المهدي يتولى الأمر من بعد حتى استشرف الناس حياة الدعة، وبحثوا عن وسائل اللهو والمتعة"[٤]، وربما كان هذا الاستظراف سبيلاً إلى التكسب[٥]، وإنْ عدّه بعضهم مظهراً من مظاهر الحضارة والترف[٦].

---

(١) انظر: تاج العروس، مادة (جمز).

(٢) التذكرة الحمدونية، ٢٧/٥، وفي: نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٣ جاءت بهذا اللفظ (حلقةَ رأسي).

(٣) انظر: البخلاء، ٣٤٧.

(٤) هجاء الذات في العصر العباسي، ٦٧٥، وانظر: الشعر في الكوفة منذ أواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث، ١١١، وهجاء غير الإنسان في شعر المشرق من القرن الثاني إلى نهاية القرن السابع، ٣٥٩.

(٥) انظر: هجاء الذات في العصر العباسي، ٦٧٥.

(٦) انظر: أخبار الظِّراف والمتماجنين، مقدمة المحقق، ٢٧.

وفي بعض أخباره نلمح أن الظَّرف كان طبعاً له منذ كان صغيراً، وقد تنبأ له بعضهم بأنه سيكون غايةً فيه، نقل الثعالبي أنه "كانت أمُّه نائحة، فجمعه المكتب بالبصرة وابن مغنية، فتشاجرا يوماً وتشاتما، فزنّاه ابن المغنية، فضحك الجمّاز، وقال للصبيان: أنصفوني يا قوم مِن هذا، إن أمَّه تشهد الفجور والسرور، وأمي تشهد الأتراح والأحزان، فانظروا أيتهما أحق بالزنى. وبلغ كلامُه المؤدِّبَ فتعجب منه وقال: إن عاش هذا خرج باقعة في الظرف والنوادر. فكان كذلك"(١).

أما رأي الأدباء في ظَرفه فقد قال عنه أبو إسحاق الحصري: إنه "من أحْلَى الناسِ حكاية، وأكثرِهم نادرة"(٢)، وله خبر مع أبي العيناء يدل على أنه يفوق في بعض نوادره أبا العيناء، فقد رُويت إحدى نوادره لأبي العيناء فقال: "بِودّي أنها لي بجميع ما قلتُه"(٣)، وقد صار إلى جانب أبي العيناء وأمثاله مضربَ مثلٍ في هذا الفن، قال خليل بن أيبك الصفدي في ترجمته لمحمد بن عبدالملك بن إسماعيل الأمير الملك الكامل: "ونوادره عديدة، وبوادره فيها عتيدة، لو عاصره أبو العيناء لقال: هذا هو الإمام، أو الجمّاز قفز وناوله هذا الزمام"(٤).

لقد أمعن الجمّاز في الفسق بقوله إمعاناً وأسرف إسرافاً حتى وجدنا ابن قتيبة يقول ذامّاً الجاحظ وهو يأتي بالشيء ونقيضه: إنه

---

(١) الإعجاز والإيجاز، ١٣٢.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب، ٢٠٥/١، وانظر: معجم الشعراء، ٤٣١.

(٣) البصائر والذخائر، ٤٦/٢، ويقارن بما ورد في: ربيع الأبرار، ١٩٥/٣، والتذكرة الحمدونية، ٤٤٢/٩.

(٤) أعيان النصر وأعوان النصر، ٥٥١/٤.

"يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويُتبعه: قال الجمّاز"[1]، وما من حاجةٍ إلى تبيانِ أنّ وضعَ الجمّاز موضعَ النقيض لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجلي لنا شخصيته السادرة في الفسق والعبث.

ولئن قال عنه الحصري: إنه من أحلى الناس حكاية؛ فقد جاء في بعض المصادر أنه كان ماجناً خبيث اللسان[2]، إلا أنه مع مجونه وخبث لسانه وخروجه عن حدّ المقبول ذوقاً، كان يتحرّز من أن يتجاوز حد المقبول شرعًا، نقل أبو إسحاق الحُصْري خبراً له مع أبي نواس قال: "وأنشد أبو نواسٍ الجمّازَ شعراً من أعابيثه ومجونه كَفَرَ فيه، وقال للجمّاز: أين أنت من أهل الطراز؟ قال: أنا لا أتعرض لمن أعضائي جندُه يحرّكُ عليّ منها ساكناً أو يسكّن متحركاً فأهلك"[3]. وله خبر آخر مع أبي نواس فيه أنه عادهُ في مرضه، فكان ينصحه بالتوبة عن قذف المحصنات، والخبر لا يخلو من طرافة، قال: "ولما مرض أبو نواس دخل عليه الجمّاز يعوده. فقال: اتّقِ الله، فكم من محصَنة قد قذفتَ، ومن سيئة قد اقترفتَ، وأنت على هذه الحال؛ فتُبْ قبل الموت. فقال: صدقتَ. ولكن لا أفعل! قال: ولِمَ؟ قال: مخافة أن تكون توبتي على يد واحد مثلك"[4].

وله معه خبر آخر، فيه أن أبا نواس أنشد الجمازَ أبياتًا آخرها

---

(١) نقلا عن لسان الميزان، ١٩٦/٦، وانظر: تدوين المجون في التراث العربي، ٢٠٤.

(٢) انظر: معجم الشعراء، ٤٣١، ووفيات الأعيان، ٧٠/٧.

(٣) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ٥.

(٤) المصدر السابق، ٢٤٩.

قوله:

مـا جاءنـا أحـدٌ يخبّـرُأنـه فـي جنـةٍ مَـن مـات أوفـي نـارِ

فلما بلغ هذا البيتَ قال له الجماز: "يا هذا، إن لك أعداءً، وهم ينتظرون مثل هذه السقطات فينتهزونها ليجدوا السبيل بها إلى الطعن عليك، والقدْح فيك إلى السلطان، فاتّقِ الله في نفسك، ودع الإفراط في المجون، واكتمها، قال: لا، والله لا أكتمها خوفاً! وإن قُضي شيء كان! فنمى الخبر إلى الفضل بن الربيع ثم إلى الرشيد، فما كان بعد هذا إلا أسبوع حتى حُبس"[1].

وأعجب من هذا أن تقرأ صلته بمجالس الحديث النبوي، من قبيل: "وحدّث [التاريخي] عن يوسف بن يعقوب بن السكيت عن الجماز قال: عيسى بن عمر أخو حاجب بن عمر، ويكنى حاجبٌ أبا خشينة، روي عنه الحديث، وهما موليان لبني مخزوم، وهما من ولد الحكم بن عبدالله بن الأعرج الذي روي عنه الحديث أيضاً"[2]، وكذلك أنه "أملى خالد بن الحارث أحاديث حميد عن أنس، فكانت نسخته فيها سقط. وكان الجمّاز يستملي عليه"[3]، وسنستعرض سائر هذا الخبر في موضعه.

ومع هذا فإننا واجدون في أخباره ما يناقض مثل هذه الأخبار التي

---

(١) الموشح، ٣٤٤، وأبيات أبي نواس في: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ٦٣، ولم أجدها في ديوانه.

(٢) معجم الأدباء، ٢١٤٢/٦.

(٣) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢.

تعطينا تصوّراً عن تورّعه، بل إن مما يزيد الأمر طرافة أنك ترى أصحاب التراجم حائرين في صفاته، قال السمعاني وهو يترجم له: "شاعر أديب فاضل، وكان ماجناً خبيث اللسان"(١).

ويبدو أن طبيعة الظرفاء لا تأنف من أن يُوصَموا بأي صفة شنيعة، والجمّاز من هذا الصنف من الناس، قال أبو الفرج الأصفهاني: "أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني سوار بن أبي شُراعة، وأخبرنا به سوار قال: حدثني أبي، قال: لما هجا الجمّاز عبدالصمد بن المعذِّل جاءني فقال لي: أنقذني منه. فقلت له: أمثلك يَفْرَقُ من الجمّاز؟ فقال: نعم؛ لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يَفْرَقُ منه، ولا عِرض له، وشِعرُه يَنفق على من لا يدري. فلم أزل حتى أصلحت بينهما"(٢).

رواج نوادره

لقد رُزق بعض الظرفاء بل بعض الناس كافةً حظّاً من قبول شخصيته، أو شيوع علمه، أو سيرورة أقواله، وجاء في هذا الصدد خبرٌ ساقه أبو حيان التوحيدي أنه "قيل لأبي هِفّان: لِمَ لا تهجو الجاحظ وقد ندّد بك وأخذ بمُخنَّقك؟ فقال: أمثلي يُخدع عن عقله، والله لو وضع رسالة في أرنبة أنفي لما أمسَتْ إلا بالصين شهرة، ولو قلتُ فيه ألف بيت لما طنّ منها بيت في ألف سنة"(٣).

---

(١) الأنساب، ٨١/٢.

(٢) الأغاني، ١٦٥/١٣، (بتصرف).

(٣) معجم الأدباء، ٩٩/١٦.

ومما يُظهِرنا على رواج نوادره وأخباره وشعره، وامتداداً لخبره السابق الذي هجا فيه عبدالصمد بن المعذل: ما نقله الأصفهاني عن رجل اسمه وهبان، كان "يبيع الحمَام، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه، وجعل يغشى المجالس، ويحلف أنه ما قال: إن عبدالصمد بيضٌ مُحَوَّل، ويسألهم أن يعتذروا إليه، فكان هذا منه قد صار بالبصرة طرفةً ونادرة، فجاءني عبدالصمد يستغيث منه، ويقول لي: ألم أقل لك إن آفتي منه عظيمةٌ، والله لَدَوَرانُ وهبانَ على الناس يحلف لهم: إنه ما قال: إني بَيضٌ مُحَوَّل، أشَدُّ عليّ من هجائه لي. فبعثت إلى وهبان فأحضرته، وقلت له: يا هذا، قد علمنا أن الجمّاز قد كذب عليك، وعذرناك فنحب ألاّ تتكلف العذر إلى الناس في أمرنا، فإنا قد عذرناك. فانصرفَ وقد لقي عبدالصمد بلاء"[1].

وفي هذا الخبر من الظرف ما فيه، ولا أستبعد أن الجمّاز نفسه هو من بعث وهبان لينفي في المجالس أنه قال عن عبدالصمد: إنه بيض مُحَوَّل، وربما كان بعضُ مَن في هذه المجالس لم يسمع ببيتَي الهجاء من قبلُ، ولكنه سمع النفي والاعتذار فعرف منهما هذين البيتين؛ فكان الاعتذار سبباً لذيوعهما، وصار نفيه دليلاً على إثباته، وهذه طريقة أظرف وأشوَق.

تأصُّل الظَّرف فيه

استعراض بعض نوادر الجمّاز يدفعني إلى القول: إن الظَّرف

(١) الأغاني، ١٣/١٦٥.

والميل إلى الهزل كانا سجيتين متجذرتين فيه؛ لأني رأيت في بعض أخباره ونوادره جمعًا بين الجدِّ والهزْل؛ إذْ نجده يتحول من حديثه الجاد إلى الهزل، ويتهكّم بالآخرين، نقل الحصري أنه "كان صاحباً لأبي نواس حتى ماتا. ووصف أبا نواس، فقال: كان أظرفَ الناس منطقاً، وأغزرَهم أدباً، وأقدرَهم على الكلام، وأسرعَهم جواباً، وأكثرَهم حياءً؛ وكان أبيضَ اللون، جميلَ الوجه، مليحَ النغمة والشارة، ملتفَّ الأعضاء، بين الطويل والقصير، مسنونَ الوجه، قائمَ الأنف، حسنَ العينين والمَضحك، حلوَ الصورة، لطيفَ الكفّ والأطراف، وكان فصيحَ اللسان، جيدَ البيان، كثيرَ النوادر؛ وكان راويةً للأشعار، وعلاّمةً بالأخبار، وكان كلامه شعراً غيرَ موزون.

وأقبل أبو شُراعة والجمّازُ في حديثه، وكانت يد أبي شُراعة كأنها كَرَبة نخل، وكان أقبح الناس وجهاً، فقال الجمّاز: فلو كانت أطرافُه على أبي شُراعة لتمّ حسنه. فغضب أبو شراعة"[1].

فقد كان آخذاً في سياق كلام جاد يصف به صاحبه أبا نواس، ويتحدث عن محاسنه، وحين أقبل أبو شراعة -وهو رجل قبيح- نزعت نفسه إلى التندّر بأنْ قال: لو كانت أطراف أبي نواس التي وصفها باللطف على أبي شراعة لتم حسنه، وهو يتهكم به، والتهكم "خطاب

(١) البصائر والذخائر، ١١٦/٨، وزهر الآداب، ٢٠٥/١، وجمع الجواهر، ١١٥. أما أبو شراعة فهو أحمد بن محمد القيسي، من شعراء البصرة في المئة الثالثة، جمع بين قبح الخلقة وسماحة الخُلُق، صحب الجاحظ، وثلة من شعراء العصر كدعبل الخزاعي، وعبدالصمد ابن المعذّل، وعُمّر طويلا. انظر: شعراء عباسيون منسيّون، ١٣٩.

يُقصد من ورائه عكس المعنى الظاهر المتلفَّظ به"[1]، فهو لا يريد بهذا أن يصف حُسن أبي نواس، بل يريد وصف قبح أبي شُراعة.

ومما يؤكد تأصّلَ الهزل في نفسه أنه كان بهذا الكلام يرثي صاحبه، وهو مقام يستدعي الوقار، واستحضار هيبة الموت، ومع هذا كله أتى خُلُقُه دون التخلّق، كما أنه لم يردعه عن هذا أن أبا شراعة فيما يبدو ليس من أهل العبث، فقد وصفه ابن المعتز بأنه صاحب نظر[2]، وهي سِمة لا يوصف بها عادةً إلا ذو سَمْت ووقار؛ لأنه مرتبط بالحكمة والتعقّل، كما أن المبرِّد وصفه بكونه "حليماً مألوفاً، جميل الخلق، كريم العشرة"[3].

والجمّاز لا يراعي مقامات القول، ففي الخبر السابق لم تدرأه هيبة الموت عن العبث، ولن نذهب بعيدا، ففي الخبر الآتي ما يؤكد هذا الأمر، قيل: إنه "أملى خالد بن الحارث أحاديث حميد عن أنس، فكانت نسخته فيها سقط. وكان الجمّاز يستملي عليه، فقال خالد: حدثنا حميد عن أنس، قال: قال رسول اللهﷺ. هكذا في نسختي، وهو رسول الله إن شاء الله. فقال الجمّاز: حدثكم حميد عن أنس قال: قال رسول اللهﷺ. وشكّ أبو عثمان في الله، فقال خالد: كذبت يا عدو الله، ما شككتُ في الله، وتضاحك أهل المجلس، وأصلحت النسخة"[4].

---

(١) النادرة في بخلاء الجاحظ، ١٢٦.

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٤.

(٣) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٦.

(٤) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢.

ثم إنه لا يقيم وزناً كذلك لمشاعر الآخرين، رُوي أنه "سَمع محبوساً يقول: اللهم احفظني! فقال: قل: اللهم ضيعني؛ حتى تنفلت"[١]، وجليٌّ في هذا الخبر عبثُه بالمسجون، وعدم اكتراثه للشعور الذي ينتابه وهو في هذا المكان، فكيف إذا استُهزئ به؟!

ونلمس سخريّته في مثل هذا المقام؛ إذ "دخل عليه رجلٌ يعوده من مرضه، فلما نهض قال للجمّاز: تأمر بشيء؟ قال: نعم، بترك العودة"[٢]، فلو كان الجمّاز تاركاً المجون والعبث لتركه في هذا الموضع؛ فإذا لم يُراعِ فضيلة شكر مَن أدّى واجب عيادته في مرضه، فعليه أن يراعي نفسه وهو في المرض.

بل إنه ربما أظهر دعاباته وهو بحضرة أميرٍ غيرَ آبهٍ لِما قد يجني عليه ظَرفه واطّراحه التحفظَ، روي أنه "ذُكر لبعض ولاة البصرة لَمّا وليها حلاوةُ الجمّاز، وأن أكثر نوادره على الطعام، فأحضره، وقُدِّمت المائدة، فأتى بنادرة فاخرة وأتبعها بأخرى فلم تُستملَح. فقال: لعل الأمير أنكر بَرْد ما أتيت به؟ وإنما احتذيت حذوه في تقديم البوارد قبل الحَوَارّ"[٣].

فلم ييأس الجمّاز من إضحاك الأمير، ولكنّ اللافت للنظر اجتراؤه عليه في طريقة تقديمه الطعام، وجعله إياها مادةً للتندر، وهذا

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٩/٤٤٠-٤٤١، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧١، ويقارن بما ورد في: محاضرات الأدباء، ٣/٢٢٠، وقد آثرتُ صياغة التذكرة ونثر الدر؛ لأنها أجود.

(٢) التذكرة الحمدونية، ٤/٣٤٢، (بتصرف يسير)، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٣.

(٣) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ٩.

يؤكد أن الجمّاز مجبول على الظرف، وأنه لا يراعي مقامات القول، بل يؤكد أيضاً أن مثل هذه النوادر صارت لوناً من التكسّب الذي لا يُظهر اعتداءً على المخاطب، وإنما هو ضرب من ضروب الإضحاك النافق بين عِلية القوم، يثيبون على مثله[١]. وقد أعطى المتوكلُ الجمازَ عشرة آلاف درهم جائزةً على جوابه على الفتح وزيره[٢]!

ومن نوادره وأجوبته المسكتة في مثل هذه المقامات أنه "قال له بعض ولد المتوكل: يا شيخ، ألا تستحي مما تقول؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال: حتى أرى من يُستحيا منه"[٣]، ففي هذا مجازفةٌ وإيرادُ النفسِ المخاطرَ بهذه الكلمة التي ربما أثارت في نفس ولد الخليفة ما أثارت، أو قد يطير بها بعض المتنفّعين إلى الخليفة المتوكل للإيقاع به.

نوادره:

تتسم النوادر بقِصَرها، وكلما طالت النادرة بردَتْ، وقلّ إدهاشها، ونوادر الجمّاز كلها من هذا الضرب القصير، فكيف إذا اجتمع له مع قصر النادرة سرعةُ البديهة؟ وسرعة البديهة وبلاغتها معدودةٌ عند بعضهم من ضروب البلاغة، وهي "أن يكون انحياش اللفظ لِلّفظ في وزن انحياش المعنى للمعنى، وهناك يقع التعجب للسامع؛ لأنه يهجم بفهمه على ما لا يظن أنه يظفر به كمن يعثر بمأموله، على غفلةٍ من تأميله، والبديهة قدرةٌ روحانية في جبلّةٍ

(١) انظر: هجاء غير الإنسان في شعر المشرق، ٢٧.

(٢) انظر: جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٥، وتاريخ بغداد، ٢١٢/٤.

(٣) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٥.

بشرية"[١].

ومن نوادره التي نحت هذا المنحى ما رُوي من أن امرأته قالت له: "أيش يطيب في هذا اليوم؟ قال: الطلاق"[٢]، ونلحظ أن جواب الجمّاز هنا لم يَعْدُ كلمة واحدة، إضافة إلى أن الجواب غير متوقَّع البتة؛ لأنه يُنتظَر ممن سألته امرأته مثلَ هذا السؤال جوابٌ غايةٌ في الرقة واللطف والغزل.

وكذلك أنه "قيل للجمّاز: ما بقي من شهوتك للنساء؟ قال: القيادة عليهن"[٣]، وفي رواية أخرى أن الذي سأله هو المتوكل[٤]! فأي سمةٍ هي أظهرُ في هذه النادرة؟ قِصَرُ الجوابِ، أم إدهاشُه، أم جرأتُه؟

ومن نوادره التي تدل على سرعة بديهته أنه "قال له الجاحظ أو غيره: أريد أن أنظر إلى الشيطان، فقال: انظر في المرآة"[٥]، ويُلحظ فيها قِصَر الجواب، ومفاجأته، وهو ما نقلته عن الصناعتين، وفي قِصَر هذه النادرة دليل على أن القِصَر أحلى لها وأمتع لسامعها، وفي روايتها مجال للموازنة، فقد جاء في (جمع الجواهر) أن جواب الجمّاز: "انظر في المرآة فإنك تراه"[٦]؛ وكون العبارة أطول مما نقله العسكري فتّر

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ٢/١٤٠-١٤٢.

(٢) البصائر والذخائر، ٥٥/٤، ويقارن بما ورد في: محاضرات الأدباء، ٢٤٧/٣، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧١، ووفيات الأعيان، ٧٠/٧.

(٣) رسائل الجاحظ ١٥٢/٤. والبصائر والذخائر، ١٩٨/٥.

(٤) انظر: البصائر والذخائر، ٥٤/٤.

(٥) كتاب الصناعتين، ٤٨.

(٦) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٤.

النادرةَ، أو سلبها بعض حلاوتها، كما أن التعليل "فإنك تراه" قد سلب المُلحة بعض إدهاشها بإغلاقها على المتلقي باب الدهشة باكتشاف مراد الجمّاز.

كما فاجأ الجمّازُ آخرَ قال له: "يا أبا عبد الله؛ أنا رجل جامد العين، لو مات أبي ما بكيت، ولكن إذا سمعتُ الصوت الفَرِيح من الوجه المليح بكيتُ حتى أغمي عليَّ. فعلامَ يدلُّ هذا؟ قال: على أنك لا تفلح أبداً"(١). فلم يكن السائل ينتظر إلا أن يجاريه الجمّاز في الباب الذي سأل عنه وهو غناء المليح، إلا أنه صكّ وجهه بجواب مفاجئ!

ومن هذا القبيل أن السُّدِّيّ قال للجمّاز: "وُلِدَ لي البارحة مولود كأنه دينار منقوش، فقال له الجمّاز: لاعِنْ أمه ويحك!"(٢)، وهذه هي النادرة التي قال عنها أبو العيناء: "بودّي أنها لي بجميع ما قلته". ففي هذا الحوار لم يكن السُّدّي يتطلع إلى سوى تهنئة بهذا المولود الحسن، غير أن صاحبنا جَبَهَهُ بنفيِ أن يكون هذا الغلام الحسن من نسله، ولعل مما زيّن سرعة الجواب وزاد حلاوة النادرة قولَه متعجّباً: ويحك.

وفي هذا السياق كذلك أنه "قال رجل للجمّاز: خرج بي دُمّل في أقبح موضع، قال: كذبتَ، هو ذا وجهك لا أرى فيه شيئاً"(٣)، وهذا

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٥.

(٢) البصائر والذخائر، ٤٦/٢، ويقارن بما ورد في: ربيع الأبرار، ١٩٥/٣، والتذكرة الحمدونية، ٤٤٢/٩، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧١.

(٣) التذكرة الحمدونية، ٤١٦/٩، ويقارن بما في جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٤، وبما جاء في أخبار الظراف والمتماجنين، ١٣٩، وفيه أن الذي شكا إلى الجمّاز هو أبو شراعة، وكذا في نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ٢-١٧١/٣.

الجواب مع سرعته، وقِصر عبارته، ومفاجأته يقوي رأيي عدمَ اكتراث الجمّاز لحال المخاطب الذي جاء شاكياً يريد من يواسيه، ويخفّف عنه مصيبته، وربما كان الرجل الشاكي متفاصحاً بكنايته، وبدل أن يجد من يواسيه في مصيبته لقي من يعرّض بأن وجهه هو أقبح موضع في جسمه! فضلا على أنه جاء في المرويات أن الشاكي هو أبو شُراعة الذي مرّ بنا أنه ذو سمت ووقار(١).

و"عن يموت بن المزرَّع قال: حضر الجمّاز عند أبي يوماً، ودخل رجل، فقال له: ما أخرك عنّا؟ فقال: أصابتني خِلفة، أما ترى وجهي؟ فقال الجمّاز ما أبين الاختلاف على وجهك!"(٢).

وفي سياق البديهة يندرجُ أن رجلًا قال "للجماز: "وَلَدَتْ امرأتي لستة أشهر. فقال: لقد كان إناؤها ضارياً"(٣).

وبتأمل بعض نوادره آنستُ فيها بلاغة من قبيل المشاكلة، والطباق، يُروَى أنه "دخل إليه يوماً بعض إخوانه وقد طبخ وغرف الطعام، فقال الداخل: سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق! فقال الجمّاز؛ الحرمانُ واللهِ أعجبُ منه، امرأته طالق إن ذقتَه"(٤)، فكما

---

(١) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٨٥.

(٢) الأمالي، يموت بن المزرع، ٩٩، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٣، والخِلْفة: الهَيضة، وهي فساد المعدة من الطعام، يُقال: أخذتْه خِلْفةٌ إذا اخْتَلَفَ إلى المُتَوَضَّأ. لسان العرب، مادة (خلف).

(٣) العقد الفريد، ١٣٢/٨، وجاء في الحاشية: الضاري من الآنية: الذي عُوِّد الخمر. وأصله من الضراوة، وهي الدُّربة والعادة، ويقارن بما في: عيون الأخبار، ٣١٤/٣.

(٤) التذكرة الحمدونية، ٤١٣/٩، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧١، وقارن بما في: الكناية والتعرض، ٨٠، (بتصرف يسير).

عجب هذا الرجل من أسباب الرزق واتخذ هذا العَجب سبيلاً إلى الأكل؛ جعل الجمّاز الحرمانَ أعجبَ من الرزق، وجعل عجبه باباً لمنعه الأكلَ!

ومن ظرف الجماز وبديهته ما ذُكر من أن جارية مغنيةً كانت في مجلس، ففرط منها صوتٌ لم يسمعه غيرُه، فلما قالت له: أي صوتٍ تحبُّ أن أغني لك؟ قال: غنّي:

يـا ريـحُ مـا تصـنعين بالـدِّمَنِ كم لك من محوٍ منظرٍ حَسَنِ؟

فضحكت الجارية وقالت: اكتم علي"[1].

وأزعم أن طرافة هذه النادرة آتيةٌ من توظيفه التعريضَ، ولو أنه صرّح بعلمه بما سمعه لجاءت النادرة باردةً، بل لَمَا عُدت من النوادر، وتُظهرنا هذه النادرة كذلك على بلاغة الجمّاز، وقدرته على استدعاء الأبيات المناسبة للتعريض والكناية.

ومن كنايته ما رووا أنه "مر إنسان بالجمّاز فقال: يا شيخ، كيف آخذ إلى عبدالقيس؟ قال: امضِ قُدُماً واشتَمَّ، فإن كرهتَ الرائحة فثمَّ"[2]، وإنك لن تجد لهذا الخبر حلاوة حتى تعرف قصة المثل: "أخسر صفقةً من شيخ مَهْو"[3]. وفي رأيي أن غموض النادرة أدعى إلى استطرافها واستملاحها، كتوظيف الكناية، ومن هذا القبيل أنه "قال بعض جلساءِ المتوكّل: كُنَّا نكْثِر عند المتوكل ذِكْرَ الجمّاز حتى اشتاقه،

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٣، ويقارن بما ورد في: الكناية والتعريض، ٢٨.

(٢) ثمار القلوب، ٩٣.

(٣) مجمع الأمثال، ٢٦٢/١، وثمار القلوب، ٩٣.

فكتبَ في حَمْله إليه، فلما دخل أُفْحِم، فقال له المتوكل: تكلمْ فإنّي أُريدُ أن أسْتَبرئكَ، فقال: بحَيْضَةٍ أو بحَيْضَتين يا أميرَ المؤمنين؟ فقال له الفتح: قد كلَّمتُ أميرَ المؤمنين يُوليك على القرود والكلاب! قال: أفَلَسْتَ سامِعاً مطيعاً؟"[1]. وبصرف النظر عن حضور جوابه على المتوكل بقوله: بحيضة أو حيضتين، فإنه جبَهَهُ بما لم يحتسب، وذلك بسؤاله عن السمع والطاعة له بصفته والياً على القرود، كنايةً عن أن الفتح من القرود، فصار هو أعلى منزلة من الفتح لأنه والٍ على القرود. أما الفتح نفسه فهو من القرود! وهذا هو الجواب الذي أعطى المتوكلُ الجمازَ عليه عشرة آلاف درهم.

وإنك لتَعجب من حضور جوابه وقِصره وإبلاغه مرادَه بكلمات يسيرة، "قال له رجل: أردت أن أحملَ أمي إلى بغداد، فخفت إن حملتُها في البحر أن تعطب، وإن حملتُها في البر أن تتعب. قال: فخذها في سُفْتَجَة"[2].

ولن تستغرق في الضحك ما لم يستبِنْ لك معنى السفتجة، وهي: أنْ تُعطي مالاً لآخر وللآخِذ مال في بلد المُعْطِي، فيُوَفّيه إياه، فيستفيد أَمْنَ الطَّريق[3].

كما أن سعة معرفته بمثل هذه الأمور مدعاة للعجب أيضاً، فها

---

(١) زهر الآداب، ٢٠٥/١-٢٠٦، ويقارن بما في: جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٥، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٥، والأذكياء، ٢١٧، وتاريخ بغداد، ٢١٢/٤.

(٢) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٥، وانظر: أخبار الظِّراف والمتماجنين، ١٠٤

(٣) انظر: لسان العرب، مادة (سفتج).

هو ذا يتحدث عن السُّفْتَجة وهي من علم البيوع في الفقه، كما أجاب عن استبراء الخليفة له إجابةَ مَن له اطلاع على المذاهب الفقهية، وتجد معرفته بمثل هذه الأمور في هذه النادرة أيضاً: "حدثنا يموت قال: كان أبي والجمّاز يمشيان وأنا خلفهما بالعَشيِّ، فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمرُّ عليه فيصلِّي معه، فلما رآنا أقام الصَّلاة مبادراً، فقال له الجمّاز: دع عنك هذا فإن رسول اللهﷺ قد نهى أن يُتَلَّقى الجَلَب"(١).

أما هذه النادرة التي تروَى أنه قال: "قلت لرجلٍ رَمِد العين: بأيّ شيءٍ تداوي عينك؟ قال: بالقرآن ودعاء الوالدة؛ قلت: اجعل معهما شيئاً يقال له العَنْزَروت!"(٢) فلأنها من الجمّاز؛ بدت اللغة فيها محمولة على السخريّة، وكأنه يقول له: ابذل سبب الشفاء مع الدعاء والقرآن، إلا أنني وجدتُ بمراجعة كتاب "المعتمد في الأدوية المفردة" أن العَنْزَروت "يقطع الرطوبات السائلة إلى العين"(٣)! وهذا يؤكد أن الجمّاز واسع الاطلاع، سريع الاستحضار، إلا أنني أعود بها مرة أخرى إلى السخريّة؛ لأنه لم يقل مثلا: داوها بالعَنْزروت، بل جاء بعبارة واضحة فيها الطرافة وضوحاً صَعّب عليّ وصفَه، ولعلها كما قال إسحاق الموصلي: "إن من الأشياء أشياءَ تحيط بها المعرفة، ولا تدركها الصفة"(٤).

وقد أدرج الثعالبي متساهلاً هذا الخبر تحت عنوان "في ذِكر

---

(١) الأمالي، يموت بن المزرع، ٥٦.

(٢) البصائر والذخائر، ١٨/٧-١٩، والأذكياء، ابن الجوزي، ٢٢٨، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢، ووردت منسوبة إلى رجل مبهم لم يُسمَّ في: أخبار الظراف والمتماجنين، ٩٧.

(٣) ص١٠.

(٤) الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، ٣٧٤/٢.

الأدباء والنحويين"، أن الجمّازَ قال عن أمر مُريب: "وقع الفعل عليه فانتصب"[1].

وفي هذا القول ما يُبين معرفته بمصطلحات النحو، وإن لم يُعدّ من النحويين، فلم تذكر معاجم النحويين أنه منهم، ولم تُعرَض له مسائل ولا مناظرات ولا أقوال في النحو، ولعل الثعالبي أراد عدّه ضمن الأدباء.

وما ينفكّ الجمّاز عن براعته في توظيف التعريض حتى إنه لَيعرّض بمن أضافه في بيته وهو في بيته وعلى خِوانه، "كان الجمّاز ببغداد عند يحيى بن عبدالرحمن البخْتَكاني، ومرَّ الغلام بصحفة، فقطرت على ثوبه قطرة من المرق، فاغتم الجمّاز، فقال له: يا أبا عبدالله لا تغتمَّ فلك عندنا قميصٌ بل أقْمِصة. فقال: ما اغتمَمْت أصلحك الله فإن مرقكم لا يغيّر الثياب -أي ليس فيه دسَم- فضحك البخْتكاني حتى استلقى على قفاه"[2].

ولئن ظننّا أن في تعريض الجمّاز لؤماً؛ لأنه يذمُّ مَن ضافه، وتفضَّل فعرَضَ عليه قميصاً بل أقمصة، فإن مثل هذا المجلس ما هُيّئ إلا للجمّاز وأمثاله، وربما أُوعِزَ للغلام بأن يتعمد إصابة ثوب الجمّاز بشيء من المرق؛ للعبث به والضحك منه، وهو ما آنستُه من استغراق البختكاني في الضحك.

---

(١) اللطف واللطائف، ٣٢.

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٢، ويقارن بما في: محاضرات الأدباء، ٣٥٠/٢، والتذكرة الحمدونية، ١٧٤/٥، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧١.

و"قال يموت بن المزرع جلس الجمّاز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى وكانت الصحْفة تُرفع من بين يدي جعفر فتوضع بين يدي الجمّاز فربما كان عليها قليلٌ، وربما لم يكن شيء، فقال الجمّاز: أصلح الله الأمير ما نحن اليوم إلا عصبة فربما فضل لنا بعض المال، وربما أخذه أهل السهام ولا يبقى لنا شيء"[1].

وروي أنه "شَهَّى جعفرُ بن سليمان أصحابَه، فتشهّى كل إنسان منهم جنساً من الطعام، فقال للجمّاز: فأنت ما تشتهي؟ قال: أن يصحّ ما اشتهَوا"[2].

ومن كناياته التي تُظهِرنا على معرفته بالأدب أنه نظر "إلى رجل يخفّف الصلاة فقال: لو رآك العجاج لهزَجَ بك، قال: كيف؟ قال: لأن صلاتك أرجوزة"[3]، ففيها استبان حسّه الموسيقي ومعرفته بخفة الرجز وعلمه بأراجيز العجاج.

وفي قولهم: إنه "كان يأكل عند سعيد بن سَلْم على مائدة دون مائدته، فإذا رُفع من مائدة سعيد شيء وُضع على المائدة التي عليها الجمّاز، فالتفت الجمّاز فقال: يا أبا عمرو، وهذه عصبة لتلك كما

---

(١) الأذكياء، ابن الجوزي، ٢٤٣.

(٢) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٣.

(٣) البصائر والذخائر، ١٥١/٥، ويقارن بما في: محاضرات الأدباء، ٩٧/٤، والتذكرة الحمدونية، ٤١٣/٩-٤١٤، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧١. وقد نُسب هذا الخبر إلى غير واحد.

يقال: وما بقي فللعَصَبة"[1]، ما يدل على أن له معرفة بالفرائض.

ولا يجد الجمّاز حرجاً من أن يتندّر حتى وهو بين أيدي الساسة، ومن ذلك أنه "قال رجل من ولد عبيد الله بن زياد: إنه رأى النبي ﷺ وعليّاً وفاطمة، رضي الله عنهما، فصام وتصدق تبرُّكاً برؤياه. وقصَّها والجمّاز حاضر، فقال له: أتدري لم جاؤوك؟ قال: لا، قال: جاؤوك ليشكروك على فعل أبيك بابنهم. فانخزل الرجل وودّ أنه لم يذكر من ذلك شيئاً"[2]. ففي هذه النادرة دلالة على معرفته بالحوادث وبالتاريخ.

وما أكثر ما يعرّض بمضيفه! فقد "حضر دعوةً فجعل رب البيت يدخل ويخرج وهو يقول: عندنا سِكْباجة تطير طيراناً، عندنا قَلِيّة تطير في السماء. فلما طال ذلك على الجمّاز جاع وقال: يا سيدي أُحب أن تُخرِج إليّ رغيفاً مقصوصَ الجناح إلى أن تقع ألوانك الطائرات"[3]، وأزعم أن استعماله عبارات التبجيل من قبيل (سيدي) في سياق السخريّة هو من بواعث الضحك.

وهو لا يجد حرجًا من التعريض بمن يرجو عطاءهم، فقد "قيل له: لم تُقَصّر شِعرَك؟ قال: أليس قليل ما أجيء به كثيراً في جنب ما يعطونني؟"[4].

---

(١) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٣.

(٢) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، ٤١٤/٩، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢. (بتصرف يسير).

(٣) التذكرة الحمدونية، ٤١٤/٩، (بتصرف يسير)، ووردت باختلاف يسير جدا في: نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٤.

(٤) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٤.

ولا يتحرج من التعريض بمن أكرموه أمام أبنائهم، فمما جاء في ذلك أنه "قال لرجل: رحم الله أباك فقد كان نظيفَ منديل الخِوان"[١]، وقد جمع هنا بين السخريّة وبين الجرأة على هذا القول أمام من يأنف من السخرية بأبيه المتوفَّى، ولعل الدعاء للميت المستهزَأ به قد أضفى على السخرية ما أضفاه.

وإنه لَيطربك في نوادره كونُه يبنيها على أحداث ماضية أحياناً، ويظهر هذا الملمح في النادرة التي رواها الرياشي قال: "خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان، فرآه رجلٌ واحد منهم، ولم يزل يومئ إليه حتى رآه معه غيره وعاينوه، فلما كان هلال الفطر جاز الجمّاز ... إلى ذلك الرجل، فدقّ عليه الباب فقال: قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه"[٢].

وكأني بذاك الرجل يقف مشدوهاً محاولًا إدراكَ مرادِ الجمّاز!

ولعل مما يدفع إلى الضحك إضافةً إلى الإفراط في المبالغة، أن ينحطّ الحديث إلى درجة يترفع عنها المتحدثون، فيكون مبعث الضحك حينئذٍ هو القِحة والجرأة على الانحدار إلى المبتذَل، ودليل ذلك عندي أنه "قال ابن عمار: تذاكر جماعة ضيقَ المنازل، فقال الجمّاز: كنّا على نبيذ لنا فكان أحدُنا إذا دخل الكنيف وجاءه القدح مدَّ يده إلى الساقي فناوله إياه"[٣]، فلو أن الجمّاز في مبالغته بتصوير ضيق المنزل تحدث

(١) الكناية والتعريض، ٣٦، (بتصرف).
(٢) وفيات الأعيان، ٧٠/٧.
(٣) البصائر والذخائر، ٥٦/٦.

عن موضع آخر كالمطبخ، أو الفناء...؛ لجاء الحديث عادياً؛ فلذلك اختار الكنيف! كما أنه لا يُتصور أن يقدَّم النبيذ إلى من هو في الكنيف، إلا أن هذا المشهد مضحك من حيث إنه يصوّر مجالس السكارى وكيف ترتفع الكلفة بينهم إلى هذه الدرجة!

ومن صور تدَهْدِيه إلى هذا الحضيض أنه "نظر إلى سوداء عليها مُعَصْفرات فقال: كأنها بعرة عليها رعاف"[1]، وروي له "في صفة سوداء: إذا كَشَرَت فكأنها نُخامة على لِبْدٍ أسود"[2].

وفي تشبيه آخر لا يقل بشاعة أنه "قال لعلي الرازي، وأراد شراء جارية حبشية: متاعها الدهرَ مُزْبِد، وإبطاها مُنْتِنان، وجسدها لا يقبل الطِّيْب، وإذا شربت احمرّت عيناها واخضرّت وجنتاها، وإذا تجرّدت فكأنها نُخاعة على يد أسوَد"[3].

إنها جمالية القبح التي بمقدار ما تجعلك تتقزز وتنفر من المشبَّه به تُدهشك ببراعة التصوير وحضور هذه الصورة في ذهن الجمّاز، وتحملك على الضحك من صفاقته في التكلم بهذه الصورة، ولعل وقاحته أو قلّة حيائه من النطق بهذا التشبيه قد أضحكتك أكثر من التشبيه نفسه. وفي هذا الصدد يحضر تعليل الجاحظ: "وكذلك القرد

---

(١) البصائر والذخائر، ١١٦/٨، (بتصرف يسير)، وربيع الأبرار وفصوص الأخبار، ٢٦٣/٢، وقد نُسبت إلى غير الجماز.

(٢) ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، ٤٤٢/٣.

(٣) البصائر والذخائر، ٨٢/٧، (بتصرف يسير). والنُّخاعة، بالضم: ما تَفَلَه الإنسان كالنُّخامة. لسان العرب، مادة (نخع).

لمّا فرط قُبحه، وتناهت سماجته استُملِح واستُظرِف"[1].

ولنا أن نُسقِط عبارة الجاحظ على هذا الخبر: "قيل للجمّاز: رأيناك في دهليز فلان، وبين يديك قصعة وأنت تأكل، فمن أي شيء كانت القصعة؟ وأي شيء كان فيها؟ قال: قيء كلب في قِحْف خنزير"[2].

من مروياته للنوادر:

إن جانباً كبيراً من قدرة النادرة على الإضحاك يصدر عن كونِ راويها ممن عُرفوا بالظرف، فإنها تُضحك ولو كانت باردة؛ لأن المتلقي من كثرة ما قرأ عن ولع بعض الكبراء بالجمّاز قد رسم له صورة ذهنية ساخرة (كاريكاتورية)، وتصوّرَ هذا الظريفَ وهو يَرويها، وتهيّأَ للضحك من كل ما يصدر عنها، وما أكثر ما بردت النادرة الحارة إذا رواها أحد الثقلاء والمبغّضين!

ومن النوادر التي روى قولُه: "حضرت مجلساً فيه مغنية، وفيه رجل بغير جبة، والدنيا باردة، فقال وهو يرعد للمغنية: أشتهي أن أعانقك، فقالت له: أنت إلى أن تعانق جبة أحوج منك إلى عناقي"[3].

ومع أني لا أستبعد أن يكون الجمّاز اختلقها، فإنه أجاد تصوير المشهد بذكر كل ما هو مضحك فيها في عبارات موجزة، وأهمها أن الرجل وهو يتكلم في ليلة باردة كان يرعد.

لقد كان الجمّاز عارفاً بأسلوب النادرة، وأنها ينبغي أن تُحكى كما

---

(١) رسائل الجاحظ، ١٥٢/٤.

(٢) البخلاء، ٧٣، ويقارن بما ورد في: العقد الفريد، ٢٠١/٧.

(٣) البصائر والذخائر، ٢٣٠/١.

قيلت، فإنهم يرون أنه "يجب إذا حكى النادرة الظريفة والحكمة اللطيفة ألا يعربها فتثقل، ولا يُمَجْمِجها فتجهل"[١]، وهذا ما دعاه إلى ألا يعرب عبارتها، وأن ينقل عبارة المغنية كما سمعها قال: "قلت لمغنية وقد غنّت صوتاً: أين الصيحة؟ فقالت: خبّيتها لثالثك. هذا لفظ النساء"[٢]، ومرادها: احتفظتُ بها لليوم الثالث من وفاتك وهو آخر أيام التعزية، وقيل: إن عبارتها: خبيتها لثآلتك: أي لثقالتك[٣].

وإزاء هذه النادرة وروايتها باللكنة يحضر قول الجاحظ: "وإذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، ومُلحة من ملح الحُشوة والطُّغام، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظاً حسناً، أو تجعل لها من فيك مخرجاً سَرِيّاً، فإن ذلك يفسد الامتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومِن الذي أُريدت له، ويُذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها"[٤] وقوله: "ليس شيء من الكلام يسقط البتّة؛ فسخيف الألفاظ يحتاج إلى سخيف المعاني"[٥].

وقال: "سمعت كنّاساً يقول لآخر: إن كنتَ كناس ابن كناس فقل لي: كم رِجلٍ لبنت وردان"[٦]، ولقد تعمّد التساهل في اللغة؛ فلم ينصب

---

(١) جمع الجواهر في المُلح والنوادر، ١٠.

(٢) البصائر والذخائر، ١٠٠/٩، ويقارن بما ورد في: نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢.

(٣) انظر حديث محققة البصائر والذخائر، ٢٥٣/١.

(٤) البيان والتبيين، ١٤٦/١.

(٥) جمع الجواهر، ١٣.

(٦) البصائر والذخائر، ٥١/٤، وبنت وردان: دابة. لسان العرب، مادة (ورد)، وبنات وردان تسمّى الآن: الصراصير.

(كنّاس) الأولى، ولا (رجلًا) بعد (كم) الاستفهامية، وكأنه أراد أن يحكي عامية الكنّاس.

وفي هذا الصدد قال: "رأيت عجوزاً تسأل وتقول: من تصدق عليّ أطعمه الله من طيبات باب الطاق"[1]، ولعله اختلق هذه النادرة وأسندها إلى مجهولة.

وفي لغة الجماز نفسه تجوز في استعمال صحيح اللغة، كأن يخاطب امرأته بقوله: "حَرَمْتينا"[2]. وذلك بإثبات الياء بعد تاء المخاطبة؛ إمعاناً في التخفف من الإعراب، وقال الأخفش عن هذا الاستعمال: "هي لغة رديئة لربيعة تقول ضربتِيه، وأعطيتُكيه للمرأة، وتقول للرجل: أعطيتكاه"[3]. وقد وردت هذه الكلمة في نادرة هي غاية في الانحطاط إن كان مَن رواها قد سمعها من الجماز حقّاً ولم ينحَلْها إياه؛ فإن الجماز قالها في موضع لا يمكن فيه أن يكون معهم ثالث يسمعها، فإن كان الجماز قد تحدث بهذا صادقاً أو كاذباً فقد جعل عِرضهُ عُرضةً للضحك.

وقال أيضاً "قال: كنت في مَنْظَرةٍ وإذا على غَلْوَةٍ شيخ ومعه صبي في يوم بارد، فكنت أسمع الشيخ يقول للصبي: أعطني فروتي، فيناوله شيئًا لا أُثبته، فنظرت فإذا عند الشيخ قِنّينة كلما طلب من الصبي فروته سقاه قدحاً منها، قال الشاعر:

---

(١) البصائر والذخائر، ١/٢٣٠.

(٢) المصدر السابق، ١/٢٢٩.

(٣) ارتشاف الضرَب من لسان العرب، ٢/٩١٢.

إذا شـــرِبنا خمســـةً خمســـةً فقد لَبِسْنا الفروَ من داخلِ"[1]

وروا أنه "دفع إلى القصّار قميصاً ليغسله، فضيّعه وردّ عليه قميصاً صغيراً، فقال: ليس هذا قميصي. قال: بلى هو قميصك، ولكنه توَّزِيٌّ في كل غسلة ينقص ويقصر. قال: فأُحبُّ أن تعرِّفني في كم غسلة يصير القميص زراً"[2].

وجاء في بعض كتب الأدب أنه "كان لا يُدخِلُ بيتَه أكثر من ثلاثة؛ لضيقه، فدعا ثلاثة من إخوانه فأتاه ستة، ووقف كل واحدٍ على رِجْلٍ وقرعوا الباب، فنظر من كوّة أسفل الباب -وكذلك كان يعمل- فعدّ ستّة أرجل، فلما فتح الباب دخلوا، فقال: اخرجوا عني فإني دعوتُ ناساً ولم أدعُ كراكيَّ"[3]. ويُلحظ تبسّط الراوي في اللغة، أو لحنُه، إذْ لم يُخالف بين العدد ست ومعدودِه أرجل (جمع رجل).

وقال: "قلت مرة لرجل: قد زاد سعر الدقيق، فقال: أنا لا أبالي؛ لأني أشتري الخبز"[4].

ولنتأمل ما رواه الجماز عن بعض المجان قال: "أراد أبو نواس أن يكتب إلى إخوانٍ له، فلم يجد شيئاً يكتب فيه فحلق رأس غلامه، وكتب عليه ما أراد، وفي آخرها كتب: وإذا قرأتم الخطاب فخرّقوا القرطاس

---

(١) البصائر والذخائر، ١٠٢/٩، والغَلْوَة: قدر رمية بسهم. لسان العرب، مادة (غلا).

(٢) التذكرة الحمدونية، ٤١٤/٩، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٤، وانظر: أخبار الظراف والمتماجنين، ١٠٤-١٠٥، (بتصرف يسير).

(٣) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٥، (بتصرف يسير)، ويقارن بما ورد في: التشبيهات، ٣١٢-٣١٣، والتذكرة الحمدونية، ٤٠٦/٩.

(٤) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢.

قال: فردّوه بلا جلدة رأس"[1]! وغير خافٍ ما في هذا الخبر من اختلاق لا تُخطئه القراءة العابرة بله الفاحصة.

و"قال: رأيت صاحب بطيخ يقول: هذا عسل، هذا سكر، هذا قَنْد، فتقدمت إليه وقلت: عندي عليل يشتهي بطيخة حامضة. فقال: خلٌّ حاذقٌ وحياتِك، لا تلتفت إلى قولي فإنه خل"[2].

و"قال: رأيت بالكوفة رجلاً وقف على بقّال، فأخرج إليه رغيفاً صحيحاً فقال: أعطني به كُسْباً وبصرفه جَزَراً"[3].

و"رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه فقال له الجمّاز: وما يُستحسَن منه؟! فوالله إن فيه لخصالاً لو كانت إحداهن في الحِمَار لرُّد بها، قال: وما هي؟ قال: إنه يدخل الرَّوازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن الماء، ويحرق الكَتّان، ويورث الزكام، ويُحلّ الدَّين، ويُزْهِم اللحم"[4]، وفي هذه النظرة المتشائمة وسَوقهِ طائفة من الأمور التي يُتشاءم منها بدخول الهلال ما يؤكد بديهته. ونُسب هذا الخبر إلى غير الجماز في بعض المصادر[5].

---

(١) أدب الكتاب، ١٠٧، ويقارن بما ورد في: جمع الجواهر، ٢٤٩.

(٢) البصائر والذخائر، ٤٣/٤، (بتصرف يسير).

(٣) المصدر السابق، ٤١/٧، (بتصرف يسير)، ويقارن بما في: التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، ٣٧٣/٢، ونثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢، وتاريخ بغداد، ٢١١/٤-٢١٢، والكُسب: عصارة الدهن. لسان العرب، مادة (كسب).

(٤) التذكرة الحمدونية، ٤٤٤/٥-٤٤٥، وورد باختلاف يسير جدا في: نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٤. والروازن: جمع روزن، وهي الكوة، والخرق في أعلى السقف، ويُزهم اللحم: يجعل رائحته منتنة. لسان العرب، (رزن، زهم).

(٥) البصائر والذخائر، ٣٩١/٢.

لقد أورد التوحيدي أن "ملح النادرة في لحنها، وحرارتها في حسن مقطعها، وحلاوتها في قصر متنها، فإن صادف هذا من الراوية لساناً ذليقاً، ووجهاً طليقاً، وحركة حلوة، مع توخي وقتها، وإصابة موضعها، وقدر الحاجة إليها، فقد قُضي الوطر، وأُدركت البغية"(١). وأرى أن هذا الوصف يصدق على كثير من نوادره، ومنها أنه "قال الجمّاز قلتُ لمغنٍّ: غَنِّ، فقال: هذا أمر، قلت: فأحب أن تفعل، قال: هذه حاجة، قلت له: لا تفعل، قال: هذه عربدة"(٢)، ولئن كان اختلقها فلقد برع في صياغتها في عبارات موجزة.

ومنها كذلك أنه "كان في الخريمي إبرام، فقال له الجمّاز، وقد أبرمه في مسألة: قد أنفدتَ الشكر، وأفنيتَ البِر، وجُزتَ التودد، والله لو لقيتَ مصلوباً لعانقته، ولو عاينت أبخر لقبّلته، ولو رأيت قاتل أبيك لشكرتَه"(٣).

ومن براعته في الوصف أن اختار له الوطواط وصفاً لمائدة بعض البخلاء في فصل سماه "ما اخترت من محاسن كلام الفصحاء وتأنقهم في ذم اللئام الأشحاء"، قال: "وكان محمد بن يحيى بن خالد مبخَّلاً بالنسبة لأبيه وأخويه جعفر والفضل فسئل الجمّاز عن مائدته فقال: فِتْر في فِتْر، وصِحافها منقورة من خشب الخشخاش، وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة، وبين اللون واللون فَترة نبي، قيل: فمَن يحضره؟

(١) البصائر والذخائر، ١١١/١.
(٢) التذكرة الحمدونية، ٦٢/٩.
(٣) البصائر والذخائر، ٢١٦/٢-٢١٧.

قال: خير خلق الله وشرهم، قيل: مَن هم؟ قال: الملائكة والذباب، قيل له: أنت به خاصٌّ وثوبك مخرّق! فقال: والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى النُّوبة مملوءاً إبراً ثم جاءه يعقوب النبي ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء يسألونه إعارة إبرة يخيط بها قميص يوسف الذي قُدّ من دبر ما فعل"[1].

ولا نعدم في أخبار الجماز ما يدل على معرفته آدابَ المجالس، ومنها أنه "قال: حرم النبيذ على ثلاثة عشر نفساً: على من غنى بالخطأ، واتكأ على اليمين، وأكثر النُّقل، وكسر الزجاج، وسرق الريحان، وبلّ ما بين يديه، واقترح الغناء، وقطع البيت، وحبس أول القدح، وأكثر الحديث، وامتخط في منديل الشراب، وبات [في موضعٍ] لا يحتمل المبيت، ولحّن المغني"[2]. وما أشدَّ ما بين هذا وبين قوله الذي مر بنا من

(١) غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، ٢٨٨، ويقارن بما في: التمثيل والمحاضرة، ٣٢٤. وقد ورد الجزء الثاني من الخبر منسوبًا إلى أبي الحارث جمين في ثمار القلوب، ٤٧، ولعل سبب الاختلاف في النسبة أن اسم جمين كتب بالزاي بدل النون. والفِتْر: ما بين الإبهام والسبابة. اللسان، مادة (فتر).

(٢) البصائر والذخائر، ٢٢٧/١-٢٢٨، (بتصرف يسير)، والوافي بالوفيات، ٢٩٢/٤ (النشرة الألمانية)، ونهاية الأرب، ١٢٧/٤ (دار الكتب العلمية) ويقارن بما ورد في: نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢، وفي بعض المصادر وردت (البَمّ) بدل (البيت)، والبَمّ من أوتار العود، وهو أغلظها، وبما جاء في التذكرة الحمدونية، ٣٩٩/٨، وفيه وردت (اليم) بالياء، ولا وجه له. قلت: ولعدم مخالفته العدد ثلاث عشرة والمعدود (نفسا) وجه، فربما ضمّن لفظ (نفس) معنى (إنسان)، قال البغدادي معلقًا على بيت عمر بن أبي ربيعة:

فكان مِجَنّي دون من كنت أتقي ثلاثُ شخوص كاعبان ومُعْصِرُ

على أنه يجوز اعتبار المعنى فتجرد علامة التأنيث من عدد المؤنث المعنوي، كما هنا، فإنه جرّد ثلاثا من التاء لكون شخوص بمعنى النساء. خزانة الأدب، ٣٩٤/٧.

قبل: "كنّا على نبيذ لنا فكان أحدنا إذا دخل الكنيف وجاءه القدح مد يده إلى الساقي فناوله إياه"، فهذان القولان يدلان على آداب المجالس المتعارف عليها، وتشيان بما يقع فيها مما يخالف الآداب إذا غاب السمت والوقار.

ولا نعدم فيها أيضاً ما ينم على ذوقه في الطعام، "قال أبو العيناء: تذاكَرْنا النبيذ، فقال الجمّاز: نبيذ الزبيب نَمَكْسُود الخمر"[1].

وروي أنه قال: "قلت لظريفة من الظرائف: أرى شفتيك متشققة، فقالت: التين إذا حلا تشقق"[2]، ولقد أحسن أيما إحسان إن كان قد اختلقها.

و"قال: اشتريت جارية ظريفة، فأنشدتُ يوماً بيت أبي نواس:

خـــلِّ جنبيـــك لـــرامِ وامـــضِ عنـــه بســـلامِ
مُـــتْ بـــداء الصـــمت خـــيرٌ لـــك مـــن داء الكـــلامِ

فقالت: ليست الرواية هكذا، قلتُ: كيف هي؟ قالت:

خـــل جنبيـــك لـــرامِ وامـــضِ عنـــه بســـلامِ
مُـــتْ بـــداء [...] خيـــرٌ لـــك مـــن داء الحِمـــامِ"[3]

الجمّاز متهكَّماً به:

من سمات النادرة أنها قد تكتسب حرارتها من نسبتها إلى

---

(١) البصائر والذخائر، ١٤١/٤، والنمكسود كما جاء في حاشية محققة الكتاب: اللحم إذا شُرّح وجعل عليه الملح الأبازير. وانظر كذلك: المعتمد في الأدوية المفردة، ٣٨٣.

(٢) البصائر والذخائر، ١٢٨/٤.

(٣) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٧-١١٨، (بتصرف يسير)، والبصائر والذخائر، ٥٧/٢.

أشخاص بأعيانهم، والتصاقها بهم؛ فإن "للاسم قوة سحرية تتحكم في موقف المتلقي"[1]، وقد ذكر الجاحظ هذه الفكرة متحدّثاً عن النادرة: "وليس يتوفر أبداً حسنها إلا بأن تعرف أهلها، وحتى تتصل بمستحقها، وبمعادنها واللائقين بها. وفي قطع ما بينها وبين عناصرها ومعانيها سقوط نصف المُلحة، وذهاب شطر النادرة.

ولو أن رجلاً ألزق نادرة بأبي الحارث جُمَّيْن، والهيثم بن مُطَهّر، وبمُزَبِّد، وابن أحمرَ، ثم كانت باردة، لجرت على أحسن ما يكون. ولو ولّد نادرة حارة في نفسها، مليحة في معناها، ثم أضافها إلى صالح بن حنين، وإلى ابن النوّاء، وإلى بعض البغضاء، لَعادت باردة، ولَصارت فاترة"[2].

وفي صدد هذه الفكرة فإن مما راقني وأنا أتتبع النوادر الملصقة به ذلك التصحيفَ الذي وقع في اسمه في كتاب اللطف واللطائف قال: "ورئي أبو عبدالله الحمار"[3]!

وسواءٌ عندي في هذه الفكرة أن تكون النادرة صادرةً عن الجمّاز أو واقعةً عليه، فلئن كان الجمّاز صاحب نادرة وبديهة؛ فإنه في بعض الحالات يصير موضعاً لتندُّر غيره به، رُوي أنه "حضر الجمّاز مع أبي نواس مجلس قينة، فأقبل الجمّاز يمالحها ويمازحها وأبو نواس ساكت؛ فمالت إليه، فقال الجمّاز:

---

(١) الكتابة والتناسخ: مفهوم المؤلف في الثقافة العربية، ٧٣.

(٢) البخلاء، ٧.

(٣) ص٣٢.

أبــو نــواس جــذره شــعره وجــذرنا حســن الحكايــاتِ
فجــذرنا أكثــر مــن جــذره مــدّاً علــى أهــل المــروءاتِ

فقال أبو نواس:

صــدقت لا ننكــر هــذا كمــا أمُّــك رأسٌ فــي المناحــاتِ

فأقبلت القينة على أبي نواس وغنّت، فقال لها الجمّاز: ما سمعت والله أحسن من هذا، فقال أبو نواس: ولا نواح أمك إلا أن يكون عليك فإنه والله أحسن"[1]، يعرّض بأمه التي كانت نائحةً[2]. وكان الجماز وأبو نواس يصطحبان وهما حدثان، وأمه أذين النائحة، وله قال أبو نواس:

اســقني يــا ابــن أذيــنِ مــن سُــلاف الزَّرَجُــون[3]

و"قال: أردت أن أتزوج جارية بصرية فقالت لرسولي: أريد أن أسمع كلامه، فقعدت قريباً منها فقالت لي: اذكر ما عندك، قلت: عندي دنانير ودراهم وثياب، قالت: ما سألتك عن هذا، إنما سألتك عن الفراش، قلت: [...]، قالت: قم رحمك الله، فإنك إلى قبر أحوج منك إلى امرأة"[4]، ومن عرف مكانة الفحولة عند الرجال أدرك صعوبة أن يتحدث أحد منهم بضعفه، فضلا على أن يجعل نفسه هُزْأَةً في هذا الجانب.

و"حكى أبو العيناء قال: اجتمعنا في مجلس ابن الأعرابي ومعنا

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ٢٦-٢٧
(٢) المصدر السابق، ٢٦-٢٧
(٣) المصدر السابق، ٢٧.
(٤) البصائر والذخائر، ٢/٩٩-١٠٠، (بتصرف يسير).

الجاحظ والجمّاز، فأخذنا نتناشد الأشعار، ونتذاكر الأخبار، ووقع الجاحظ في والجمّاز في كيد وملاحاة"، ثم ذكر بعض ما تقاولا فيه من السباب، وتحوّل الكلام بينهما إلى المجون حتى بآي القرآن الكريم[1].

وإنك حين تجد راوي هذا الخبر هو أبو العيناء عن شخصيتين كالجاحظ والجمّاز تدرك سبب انحراف الحديث عن الجدّ إلى الهزل، وعدم إقامة أي توقير لعالِمٍ كابن الأعرابي، وهل يوقّر عالِماً من لم يوقّر كلام الله، بل وظّفه في القذف والتعبير عن معانٍ يُترفع عنها في الكلام العادي فكيف في كلام الله؟!

الجماز شاعرًا:

والجمّاز إلى جانب هذه الشخصية الظريفة شاعر، ولم يكن له حظ في تطويل القصائد، فإنه كان يقول البيتين والثلاثة، ومقطعاته ملاح، وهو موصوف بأنه من المشهورين بإجادة المقطعات، ومن النقاد من يضعه في هذا في طبقة بشار بن برد، والعباس بن الأحنف، وأبي نواس، وابن المعتز[2]، ولكن ما قرأتُ له من أبيات لا يرفعه إلى طبقة هؤلاء الشعراء، ولا يتيح لي أن أصفه بالشاعر المفلق المفوّه المطبوع كما وصفه ابن المعتز[3].

وإذا تأملنا شعره وجدنا أن أكثره منصرف إلى الهجاء، ولعل هذا

---

(١) انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ٤٦٦-٤٦٧، وقارن بما في: البصائر والذخائر: ٤٧/٧-٤٨.

(٢) انظر: العمدة، ١٨٨/١، وجمع الجواهر في المُلح والنوادر، ١١٧، ١٢٠.

(٣) انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٣.

راجع إلى أن الهجاء من الأغراض التي تُعين على الظرف والتندر، كقوله:

وقعنـــا مـــن أبـــي خـــزيٍ علـــي خـــزيٍ مـــن الخـــزي[1]

موظفاً التجانس بين خزي في كنية المهجو وخزي/فضيحة والخزي/ البليّة، وليس التجانس وحده كافياً للإضحاك، فإن مثل هذا الإيقاع لا يبلغ مبلغه في نفس المتلقي إلا إذا سمعته من الظريف نفسه ورأيته.

وهو يعتمد في غير مقطّعةٍ على الجناس؛ لإدراكه أثره في صغو المتلقي إليه، كتب مرة "إلى صاحب له، وكان يلازم الجامع ثم انقطع عنه:

هجـــرت المســـجد الجامـــ ـــع والهجـــرلـــه ريبـــه
فـــــلا نافلـــــةً تـــــأتي ولا تشـــــهد مكتوبـــــه
وأخبـــــارك تأتينـــــا علـــى الأعـــلام منصـــوبه
فـــإن زدت مـــن الغَيـــب زدنـــاك مـــن الغِيبـــه"[2]

وله أيضاً بيتان يحويان جانباً من حكمة مشوبة بهزله المعتاد، وهما في الهجاء:

ولـــئن أعظمـــتُ مـــن ليـــ ـــس يـــرى إعظـــامَ قـــدري
فلقـــد رُخّـــص للمضـــ ـــطـــرفـــي مَيْـــتٍ وخمـــرِ[3]

---

(١) جمع الجواهر في المُلح والنوادر، ١٢٠.

(٢) جمع الجواهر في المُلح والنوادر، ١١٨، ووفيات الأعيان، ٧/٧٠-٧١، ولا شك أن الصواب: فإن زدت من الغَيبة.

(٣) خاص الخاص، ٣٢.

وفي الحسين بن الضحاك وأبي جعفر أخيه:

أبــو علــي و أبــو جعفــرِ أصــغر مــن يُعــرف بالعســكرِ
كلاهمــا طفــل بــلا دايــةٍ عُلِّــل بــاللوز وبالســكرِ[1]

وجليٌّ أن معظم ما قاله، بل كل ما وصلنا من شعره، مقطّعات، وهذا يتوافق مع قِصر النادرة، فكذلك أهاجيه التي هي من جنس نوادره قِصار.

وقال صاحب الحماسة الشجرية مُشيدا ببيتي الجمّاز: "وقال في قواد عنّين فشبّهه فأحسن:

إذا كنــت لا تســتطيع الجمــاع و أنــت بحــبِّ النســا مولَــعُ
فإنــك فــي ذاك مثــل المســنّ يســنُّ الحديــد ولا يقطــعُ"[2]

وقريب من هذا الموضوع أنه كان "يتعشق جارية لآل جعفر يقال لها: طغيان، وكان لهم خصيٌّ يحفظها إذا أرادت بيوت المغنين، وكان الخصي أشدَّ عشقاً لها من الجماز، وكان قد حال بينه وبين كلامها والدنوّ منها، فقال الجماز [وكان اسم الخادم سناناً]:

مــا للمَقيــتِ ســنانٍ وللظبــاء المــلاحِ
ألــيس زانٍ خصــيٌّ غــازٍ بغيــر ســلاحِ؟!

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٣. (**العرب: ومن شعره:**

لــيس لــي ذنــبٌ إلــى الشِّيــ ـعــةِ إلا خَلّتــينِ
حــبَّ عثمــانَ بــنِ عفّــا نَ وحــبَّ العمَــرينِ

ونقل المرزباني أنه يُنسَب إلى النصب. انظر: معجم الشعراء، ٤٣١).

(٢) ص٩٢٠-٩٢١، (بتصرف يسير)، وانظر: التشبيهات لابن أبي عون، ٣٦٠.

وقال أيضا فيه وفيها:

نفســـي الفـــداءُ لظبـــي يحبنـــــي وأحبُّـــــهْ
مـــن أجـــل ذاك ســـنان إذا رآنـــــي يســـــبُّه
هَبْـــهُ أجـــاب ســـناناً [...] أيـــــــن [...]؟

ويلحظ أن الجمّاز غيرُ عابئ بنصب خبر ليس (غازياً) وهو الذي صنّفه الثعالبي ضمن النحويين كما أسلفتُ! فالمتماجن لا يرعوي عن كسر أي قيمة في سبيل إقامة الطرفة وإطلاقها فهي الأهم عنده.

وفي هذا الموضوع ومع الجارية والغلام نفسيهما قال:

ظبـــيٌ ســـنان شـــريكي فيـــه فبـــئس الشـــريكُ[1]

وفي عجز البيت الثاني الذي لم أُوردْه لمجونِه، تساهُلٌ بجزم الفعل المرفوع (يدعُنا) لكي يُقيم الوزن، وقد يكون صواب البيت (ولم يدعْنا)، ولعل رواية مثل هذا الأدب المنحط قد حملت راويَهُ على التساهل في دقة النقل، يدل على ذلك اختلافُ الروايات في الأبيات الجيدة، فما بالك بالأبيات الرديئة معنى ولفظاً؟ فالبيتان اللذان قبل هذين جاءا في جمع الجواهر برواية أجود:

مـــا للخصـــيّ ربـــاحِ وللغـــــو اني المـــــلاحِ
ألـــــيس زانٍ خصـــــيٌّ غـــازٍبغيـــر ســـلاحِ؟!"[2]

ووجه الجودة إنما هو في التقفية. أما رفع خبر ليس (غازٍ) فيؤيد

---

(١) الحيوان، ١٧٥/١، وقارن بما في: التشبيهات لابن أبي عون، ٤٠٧، وأدب الخواص، ٦٦/١، والمحاسن والمساوئ، ٥٧١/٢.

(٢) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٧-١١٨، وانظر التشبيهات لابن أبي عون، ٤٠٧.

تساهل هؤلاء المتهتكين في إقامة اللغة مقابل إقامة المعنى والصورة.

وإضافة إلى إكثار الجمّاز من المقطعات فإن جُلّ مقطّعاته على مجزوآت البحور، والمجزوآتُ أنسب للطيش والنزق من البحور التامة، وهي تُلائم الخفة والعبث.

تأمل كنايته وتعريضه في البيتين اللذين ساق الثعالبي واصفاً إياهما بأنهما "من مليح ما كُني به عن الغلام الوسيم غير الجسيم قول الجمّاز:

ظبيــك هــذا حسَــنٌ وجهــه وما ســوى ذاك جميعــاً يُعــابْ
فــافهم كلامــي يــا أخي جملــةً لا يُشبهُ العنوانُ ما في الكتابْ"[1]

وكذلك أنه قال: "اجتزتُ في طريق فإذا قيان مِلاح، فقلت وقد زحمتهنّ:

حمل الله بعضنا فوق بعضِ

فقالت واحدة:

عاجلاً في دوام عيشٍ وخفضِ"[2].

ومن مقطّعاته التي تؤيد الرأي بلؤمه، أو تؤكد تطلّب جلسائه لمجونه حتى ولو كان موجَّهاً إليهم: هذا الخبرُ الذي ساق ابنُ عبدِ ربّه قال: "ضاف رجل قبيح الوجه دَنِيُّ الحسب، أبا عبدالله الجمّاز، فجعل يفخر ببيته؛ فقال له الجمّاز: اسكت فقباحة وجهك ودناءة لفظك يمنعاننا من سبّك! فأبى إلا التمادي في اللجاج؛ فقال له الجمّاز:

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٧-١١٨، والكناية والتعريض، ٦٣،
(٢) البصائر والذخائر، ٤٧/٢.

لـوكنـتَ ذا عِـرضٍ هجوناكـا أوحَسَـــن الوجـــه لـــ[...]
جمعـتَ مـع قبحـك لؤمـاً فللـ ـقـــبح أو اللـــؤم تركناكـــا[1]

إن جرأة الجمّاز على هجاء رجل في بيته هذا الهجاءَ القبيح لا يفسرها عندي إلا أن صاحب البيت كانت غايتُه استفزازَ الجمّاز لكي يُضحكهم بأي كلام يصدر عنه، والجماز يدرك هذا الهدف، فلم يرعوِ عن هجاء الرجل في بيته بهذا الكلام البذيء.

ومن مقطعاته في المدح:

أقـــول بيتـــاً واحـــداً أكتفـــي بـــذكره مـــن دون أبيـــاتِ
إنّ علـــيّ بـــن أبـــي جعفـــرٍ أكـــرمُ أهـــل الأرض مـــن آتِ[2]

وقال يمدح أبا عمرو الرومي:

إنـي جعلتـك يـا محمـدُ مفزعـاً فـي حـاجتي وتشـوقي لقضـائها
مـن كـان في هـدم المكارم شـغله فمحمـــد متشـــاغل ببنائهـــا[3]

وقال يمدح أبا عثمان المازني:

أعلـــمُ النـــاسِ بنحـــوٍ وبشـــعرٍوغريـــبِ
وبأيـــامِ جميـــعِ النـــ ـــاسِ بكـــرُبـــنُ حبيـــبِ[4]

وقال يمدح المتوكل:

---

(١) العقد الفريد، ١٢٣/٤.
(٢) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ٥.
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٣.
(٤) نور القبس المختصر من المقتبس، ٢٢٠.

قـالوا: امتـدحتَ الإمـام قلـت لهـم: أخـــاف ألا أحـــدَّه بصـــفهْ
وكيـف يعطـي علـى المـدائح مـن كـان أبـو السِّـمْط عنـده طرَفَـهْ
كـــأنّ إنشـــادَنا مدائحَـــه أنصاف كُتْبٍ ليست بمؤتلفهْ"[1]

وله "في الحسين بن الضحاك وأبي جعفر أخيه:

أبـــو علـــيٍّ و أبـــو جعفـــرٍ أصـغر مـن يُعـرف بالعسـكرِ
كلاهمـــا طفـــلٌ بـــلا دايَـــةٍ عُلِّـــلَ بـــاللوزوبالســـكّرِ[2]

و"روى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ يهجو الجمّاز:

نســـبُ الجمّـــازمقصـــو رٌإِليـــــــهِ منتهـــــــاهُ
تنتهـــي الأحســـاب بالنَّـــا سِ ولا تعـــــدو قفـــــاهُ

فكتب إليه الجمّاز:

يـــا فتـــى نفسُـــهُ إِلـــى الـــ كُفـــــرِبـــــالله تائقَـــــهْ
لـــكَ فـــي الفضـــلِ والتَّزهُّـــ ـــــدِ والنُّســـكِ ســـابقَهْ
فـــدعِ الكفـــرجانبـــاً يـــا دعـــي الزنادقـــة"[3]

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١١٩

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٣.

(٣) الأمالي، يموت بن المزرع، ٥٦، وبيت الجمّاز الثالث في: معجم الشعراء، ٤٣١، وانظر: معجم الأدباء، ٥/٢١٠٥-٢١٠٦، وفي الأغاني أن البيتين المنسوبين إلى الجاحظ هما لعبدالصمد ابن المعذل، ١٣/١٦٦-١٦٧، وقد روي بيتا الجاحظ لعبدالصمد بن المعذل كما سيمر بنا.

(العرب: الغالب أن الشعر لابن المعذّل؛ لكثرة ما رُوي من المهاجاة بينه وبين الجماز. ينظر: شعر عبدالصمد بن المعذّل، حققه زهير غازي زاهد، النجف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

"ومن هجاء الجمّاز للجاحظ قوله:

قـــال عَمْـــرٌمفـــاخراً نحـــن قـــومٌ مـــن العـــربْ
قلـــتُ: فـــي طاعـــةٍ لِرَبّـــ ـــكَ أَبليـــتَ ذا النَّســـبْ"[1]

وقال كذلك:

لـو يُمسـخ الخنزيـر مسـخاً ثانيـاً ما كان يُمسخ فوق قبح الجاحظِ
وإذا الـمِراة [جَلَـتْ] لـه [تمثالَـه] لـم تخـلُ مقلتُه بهـا مـن واعـظِ[2]

ولأن ما يمتّ للجماز بسببٍ مضحكٌ؛ فقد علّق محقق ثمار القلوب على البيتين السابقين قائلا: "ط: "وإذا المرأة أجلت وجهها". وهو غير مستقيم الوزن، وما أثبتُّه من ب". وكأن ما أثبتَه المحققُ مستقيم الوزن، وهو: وإذا المراة حبلت لنا بمثاله!

وقال يهجو الزيادي[3]:

لـــيسَ بكـــذّابٍ ولا آثـــمٍ مَـن قـالَ: إبـراهيمُ ملعـونُ
حُكـمُ رسـولِ اللهِ فـي جَـدّهِ مـــا نالـــه إلا الملاعـــينُ
وبعـــدَ هـــذا كلِّـــه إنّـــه يُعجبُـــه القثّـــاء والتـــينُ[4]

وقال في أبي العيناء:

(١) معجم الأدباء، ٢١٠٥/٥-٢١٠٦، والأمالي، يموت بن المزرع، ٥٧.

(٢) ثمار القلوب، الثعالبي، ٣٢٩، والذي الذي بين معقوفين في المصدر (حبلت) و(بمثاله) ولعله تصحيف.

(٣) هو إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه، كان نحويًا لغويًا راوية، قرأ كتاب سيبويه على سيبويه ولم يتمه، وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة ونظرائهما، وكان شاعرًا، مات سنة تسع وأربعين ومائتين. معجم الأدباء، ١٥٨/١

(٤) معجم الأدباء، ١٦٠/١

كـــذبوا لـــيس أبـــو العيـــ ـنـــاء فـــي الكفـــر دعيّـــا
ظلمـــوا البـــائس مـــا زا ل مـــــن الله بريّـــــا
وبـــــذا نعرفـــــه مـــــذ كـــــان لا كـــــان صـــــبيّا
فـــــاخْبُروه تجـــــدوه بالـــــذي قلـــــت مليّـــــا[1]

وقال يهجو المازني:

كـادني المـازنيّ عنـد أبـي العبـ ـاسِ والفضـلُ مـا علمـتُ كـريمُ
يـا شـبيه النسـاء في كـل فـنٍّ إن كيـد النسـاء كيـد عظـيمُ
جمـع المـازني خمـسَ خصـالٍ لـيس يقـوى بحملهـنّ حلـيمُ
هـو بالشـعر والعـروض وبالنحـ ـو وغمـز [...] طَـبٌّ علـيمُ
لـيس ذنبـي إليـك يـا بكـرُ إلا أن [.....]
وكفـاني مـا قـال يوسـفُ في ذا إن ربـي بكيـدكنّ علـيمُ[2]

وقال عبدالصمد بن المعذل: "هجاني الجمّاز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس، حتى لم يبق خاصّ ولا عامّ إلا رواهما، وهما:

ابـنُ المعـذل مَـن هُـوْ ومـن أبـوه المعـذَّلْ؟
سـألت وهبـانَ عنـه فقـال: بـيض مُحَـوَّلْ

فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى فيه كلُّ أحد، فما رواه أحد ولا فكّر فيه، وذلك لضعته، وهو قولي:

(١) نور القبس، ٣٢٤.
(٢) معجم الأدباء، ٧٥٨/٢.

نسب الجمّاز مقصو رٌإليه منتهاهُ
يتراءى نسبُ النا س فما يخفى سواهُ
يتحاجى في أبي الجما زمن هُوْكاتباهُ
ليس يَدري مَن أبو الجما زإلا مَن يراهُ"[1]

ومن حضور بديهته وسرعته في إنشاء الشعر أنه "اجتمع الشعراء بباب الرشيد، فأذن لهم، فقال: من يجيز هذا القسيم وله حكمه؟ فقالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال:

الملك لله وحده

فقال الجمّاز:

وللخليفة بعده

وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده

فقال: أحسنت، وأتيت على ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم"[2].

وقال "قال الجمّاز: دخلت على الرشيد وبين يديه طبق فيه ورد فقال: قل في هذا شيئاً فقلت:

كأنه خد محبوبٍ يقبله فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

---

(١) الأغاني، ١٣/١٦٦-١٦٧. وبرواية أخرى في أمالي المرتضى، ٣/١٤٠ منسوبة إلى الجاحظ. وهي في شعر عبدالصمد بن المعذّل، ١٩٨.

(٢) العمدة، ابن رشيق، ١/١٩٢، ويقارن بما ورد في: بدائع البدائه، ٧٩، وتحرير التحبير، ٦٠٦، وقد جاء عن محمد بن إسحاق أنه قال: "حدثني أحمد بن عبدالله قال: رأيت على مروحة مكتوبًا: ..." وذكر البيتين. العقد الفريد، ٨/١٢١.

فقالت جارية على رأسه: ألا قلت:

كأنه لون خدي حين تدفعني يد الرشيد لأمرٍ يوجب الغسلا"[1]

و"قال الجمّاز لقينةٍ:

ماذا تقولين فيمن شفّه حزنٌ من شدّة الحبّ حتى صار

فقالت:

إذا رأينا محبًّا قد أضرّبه جهد الصّبابة أولياه إحسانا"[2]

"وله في جفاءٍ كان من جعفر بن القاسم قوله:

قد جفاني الأمير حين تقرّا فتقرأت مكرهاً لرضائه

ما طلاق لمكره بطلاق قد رواه الأمير عن فقهائه

والذي أنطوي عليه المعاصي علم الله ذاك لي من سمائه"[3]

وقال في قاضيين كلاهما أعور:

رأيت من الكبائر قاضيين هما أُحدوثة في الخافقينِ

هما اقتسما العمى نصفين قدراً كما اقتسما قضاء الجانبينِ

وتحسب منهما من هزّرأساً لينظر في مواريث ودينِ

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤١٨/٤. وقد أورده بعض المصادر منسوبًا إلى غير الجماز. **(العربية: في شرح الشريشي للمقامات، ٢١٢/١ أنه للمفضّل الضبي، وكذلك في ثمرات الأوراق لابن حِجّة، ص٢٦٨. وفي العقد، ٢٦٣/٤ أنه لإسحاق الموصلي).**

(٢) البصائر والذخائر، ١٦٥/٧. **(العربية: نُسب الخبر إلى علي بن الجهم مع جارية، ديوان علي ابن الجهم، ١٨٤، والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، ١١١/١، وإلى محمد ابن عبدالله بن طاهر، في تاريخ مدينة السلام، ٤٢٤/٣، وفوات الوفيات، ٤٠٣/٣، ومرآة الزمان، ٦٥١/٩، وفي مصارع العشاق، ٣٨٢ أن الخبر لابن أبي دؤاد مع جارية).**

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٧٣-٣٧٤.

كأنك قد وضعت عليه دناً فتحت بزاله من فرد عينِ
هما فأل الزمان بهُلك يحيى إذِ افتتح القضاء بأعورينِ[1]

ولقد جاشت شاعريته على الوافر التام، وهو ملائم للغضب والهجاء، وصالح جداً للنوادر والنكت[2].

ومن شعره قوله لبعض ولاة البصرة:

"أثكلْتَني البِرَّوعنّيتَني ما كان هذا أملي فيكا
لا تَنْتِفَنّي بعدما رِشتَني فإنني بعضُ أياديكا

فضحك، ثم قال: ثم ماذا؟ فقال: ثوب سمرقندي هو! أنشدك إياه مذارعة ؟!"[3].

الجمّاز ناقداً:

يتجلى الجمّاز أحياناً شاعراً هجّاءً ظريفاً، غير أن شعره في بعض أغراضه يحمل صفة النقد الأدبي، كقوله يذم شعر مروان بن أبي حفصة، ويصفه بالبرودة:

رأينا البردَ مشتداً فساءلتُ عن القصهْ
فقالوا: إنما أُنشـ ـدَ شعرُابنِ أبي حفصهْ[4]

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٠٦/٢٢، وقد نُسبت هذه الأبيات لأبي العَبر في: الأغاني، ١٧٥/٢٣، والبزال: موضع الثقب من دنّ الخمر. لسان العرب، مادة (بزل).

(٢) انظر: عبدالله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ٤٠٧/١.

(٣) جمع الجواهر في المُلَح والنوادر، ١٢٠، وفيه تصحيف (مذارعة إلى مزارعة)، وأدب الخواص، ٦٦/١.

(٤) المذاكرة في ألقاب الشعراء، ٩٣.

وكثير من نقده الذي يأتي في قالب شعري يحوم حول وصف الشعر بالبرودة، وأن هذا الشعر البارد علّةٌ لبرودة الجوّ، فهو يقلّب هذا المعنى تقليباً يُفقده بريقه، ويسلب منه دهَشه، قال الجاحظ "وكان مروان أبو السِّمط يركب بغلةً له بالبصرة، لا يكاد يُفارقها، فقال الجمّاز وهو يهجوه:

اجْتمع النَّاس وصاحوا: الحريقْ ببـاب عُثمـان وسـوق الرَّقيـقْ

فجـاء مـروان علـى بغْلـةٍ فأنشـد الشِّـعْر فأطْفـا الحريـقْ

يرمي شعره بالبرْد، وكان حسده حين سمع قائلاً يقول: لم يُصبْ شاعرٌ قطُّ ما أصاب أبو السِّمْط"[1].

وقال عن أبي السمط كذلك مُقلِّباً الفكرة نفسها تقليبًا سلبها وهجها:

إن أبـا السـمط [...] وشـعره مـن آلـة الحَـرِّ

طوبى لمن في الصيف يروي له خمسـةَ أبيـاتٍ مـن الشـعر[2]

ومما يذهب مذهب النقد أنه "قيل للجمّاز: لم لا تطيل الشعر؟ قال: لحذقي بالفصول وحذفي الفضول"[3]، بل هو رأي نقدي ولا شك؛ إذ ينفي عن شعره الحشو، وهو في ذلك، وإن كان يُعجزه التطويل، يرى رأي البحتري في قوله:

---

(١) رسائل الجاحظ، ٢/٢٣٢.

(٢) الكناية والتعريض، ٤٢.

(٣) العمدة، ١/١٨٧.

والشـــعر لمـحٌ تكفـي إشـــارته ولـيس بالهـذر طُوِّلـت خُطبُـه[1]

أما قوله:

كـــأن أشـــعاره إذا انتُقـــدَتْ أنصـاف كتب ليسـت بمؤتلفَـهْ[2]

فيدل على ذوقه الفني، أو فلأقل مذهبه في تماسك القصيدة وتآلفها.

الجماز أخباريّاً

وقد يوافينا الجمّاز أخبارياً ينقل بعض الأخبار الأدبية، كسبب تلقيب سلم الخاسر هذا اللقبَ، وذلك في الخبر الذي نقله الأصفهاني قال: "أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمر الفضل، قال: قال لي الجمّاز: سلم الخاسر خالي لَحّا، فسألته: لم لقب الخاسر؟ فضحك، ثم قال: إنه قد كان نسك مدة يسيرة، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه، وباع مصحفاً له ورثه عن أبيه -وكان لجدِّه قبله- واشترى بثمنه طُنبوراً. فشاع خبره وافتضح، فكان يقال له: ويلك! هل فعل أحد ما فعلت؟ فقال: لم أجد شيئاً أتوسّل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينه من هذا"[3].

ونلمس في بعض ما يروى عنه أو يرويه هو أنه يرتاد مجالس الأدب ويناقش الأدباء ورواة الأخبار والأشعار ويروي عنهم، جاء في

---

(١) ديوانه، ٢٠٩/١.

(٢) محاضرات الأدباء، ٩٤/١.

(٣) الأغاني، ١٨٨/١٩، وانظر: طبقات الشعراء لابن المعتز ٩٩، واللحّ: اللازق النسب. لسان العرب، مادة (لحح).

الأغاني: "أخبرنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: حدثنا الجمّاز قال: أنشدتُ أبا عبيدة وخلفاً الأحمر شِعر الأضبط:

وَصِلْ حبال البعيد إنْ وَصَل الحبـ ـل و أقصِ القريبَ إن قطعَهْ

فما عرفنا منه إلا بيتاً وعجز بيت، فالبيت الذي عرفناه:

فاقبل من الدهر ما أتاك .....

والعجز: يا قوم مَن عاذري من الخُدَعَهْ"[1].

من عذوبة حديثه:

ولا يُستبعد ممن هو شاعر ووصّاف لو آنْسَنا منه حديثاً عذباً يرقى إلى النثر الفني المكتنز بالشعرية، فقد انتخب له أبو حيان التوحيدي قطعة تكاد تلمس حرارة عاطفتها، في وصف صديق، قال: "لم أرَ في الناس وفيّاً بعد واحد كان أصفى لي مودته، وبذل لي مهجته، كان أطوعَ لي من كفي، وكنت أَذَلَّ له من نعله، أتكلم بكلامه فينطق بلساني، إن قلت خيراً أعانني، وإن ملت إلى سيئ ردعني، كان والله إذا قال فعل، وإذا حدّث صدق، وإذا اؤتمن لم يخن، ضاحكَ السن، مسفرَ الوجه، كان إذا غاب فكأنه شاهدي، وإذا غبتُ عنه فكأنه يراني، لا ينطق لسانُه بخلاف ما يضمر جَنانُه، لا يُدرَى أيّنا أسرّ بصاحبه، ولا أيّنا أصدق مودةً بخليطه، آنسُ ما كنا إذا اجتمعنا، وأوحشُ ما كنا إذا افترقنا، ما تفرقنا طولَ صحبتنا إلا يوماً حسبناه حولاً، أغبط ما كنا إذ رمى الدهر فلم يُشْقِ إذْ رمى من كان روحه روحي، ونفسه أعز عليّ من

(١) الأغاني، ٩٤/١٨.

نفسي، فليته أصابني وأخطأه، وإذْ لم يخطئه أصابني معه، فيكون موتُنا معاً كما كان عيشنا معاً، مات فمات الوفاء بعده، خاب الرجاء فما أَلَذُّ بعده طعاماً، ولا أُسيغ شراباً؛ غمّاً له، واكتئاباً عليه، وشوقاً إليه، فلو كنت أقول الشعر لرثيته آخر الدهر، ولأتعبت بالقوافي الكاتبين، فبُلِيت بعده بمن إذا أحببته أبغضني، وإن وَددته عاداني، وإن أقبلت نحوه ولّى عني، فهو كالذئب والغراب، ما للذئب ينالُه الغراب، وما للغراب فالذئبُ لا يطمع فيه، حسبُك به غادراً، تراه عن الوفاء مبطئاً، وإلى الخيانة مُهَمْلجاً"[1]. وربما كان الحديث لغير الجماز وتوهمتُ من سنده أنه له[2].

على أنه ربما استعمل جمال التشبيه في مقام أشبه بمقام الطفيلي، من قبيل قوله: "شممت من دار فلان رائحة طيبة أطيب من رائحة العروس الحسناء في أنف العاشق الشيِّق"[3]، فهذا الوصف، وإن كان بارعاً جميل التشبيه عالي المستوى، يؤكد توظيفه لبلاغته في مواقف الهزل والتطفل، فقمين بالرائحة التي شمّها أن تكون رائحة طعام.

و"قال الجمّاز: جاءنا فلان بمائدةٍ كأنها زمن البرامكة على العُفاة،

---

(١) رسالة الصداقة والصديق، ٣٦٤-٣٦٥، والمهملج: المسرع. انظر: لسان العرب، مادة (هملج).

(٢) **العربية**: يثيرُ الشكَّ في نسبته إلى الجماز أن من عُنُوا بالترجمة له لم يذكروا شيئًا عن نثرٍ مرويٍّ له، وفي النصّ نفسه تقف جملة (فلو كنتُ أقول الشعرَ لرثيته آخر الدهر) حجازًا يمنعُ التسليمَ بأنه له؛ إذْ هو شاعر.

(٣) الإعجاز والإيجاز، ١٣٢، وخاص الخاص، ٣٩، ولطائف اللطف، ١١٦.

ثم جاءنا بشرابٍ أرق من دمعة اليتيم على باب القضاة"[1]. والتشبيه الجميل في هذا الوصف لا يقل عن سابقه.

ومما أجاد فيه أنه "ذكر يوماً رجلاً قام من عنده؛ فقال: كأن قيامه من عندنا سقوط جمرة من الشتاء"[2].

كما تظهر بلاغته في قوله ساخراً: "اتصلت بفلانٍ وأنا أكسى من الكعبة، وفارقته وأنا أعرى من الحجر الأسود"[3].

ومن توظيفه للجناس في مثل هذه المقامات أنه "أهدى إلى صديق له فاكهة على طبق وكتب إليه: من الظَّرف رد الظَّرف"[4]، مجانساً بين الظرف/ الكياسة والظرف/ الوعاء.

ظريف حكيم:

ولقد وقعت للجمّاز على عبارتين حِكْميتين. أما أولاهما فترتفع به إلى درجة الفلاسفة، وهي "الحِمْيَةُ إحدى العِلّتين"[5]، وأحسن صياغتها،

---

(١) التمثيل والمحاضرة، ١٩٤، ويقارن بما ورد في: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ١٦٩، ولطائف اللطف، ١١٧، وربيع الأبرار، ٢٦/١، والفرج بعد الشدة، ١٧٤/٣، وجمع الجواهر في المُلَح والنوادر، ٢٨٧.

(٢) نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٧٢، والتشبيهات، ٣١٤، ويقارن بما ورد في البصائر والذخائر، ٣٤/٥

(٣) التمثيل والمحاضرة، ٣٣٠

(٤) الإعجاز والإيجاز، الثعالبي، ١٣٢/١.

(٥) البيان والتبيين، ١٠٤/٢. **(العربي: على أنها وردت غير منسوبة في عيون الأخبار، ٢٩٥/٣، والعقد، ١٦/٧، ومحاضرات الأدباء، ١٢١/٢، فالشكّ في نسبتها إليه كبير، وما أقربَ أن يكون وقع تحريف أو تصحيف في البيان والتبيين!)**.

وأجاد حبكها إجادةً تُفسدها محاولةُ شرحها.

وأما أخراهما فلا تنفك عما هو بارع فيه من الهزل وإلصاق مزحه بالطعام وما يتصل به، قال: "ليس يقوى على الصوم إلا من كبّر لَقْمَه، وأطاب أُدْمَه"[1].

خبر وفاته

جاء في بعض الأخبار أن المتوكّل استحضر الجمّازَ فأُحضر، فوقع بينه وبين جلساء المتوكل ملاسنة أوردتُها فيما سبق، فأَعجَبَ المتوكلَ جوابُه، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأخذها وانحدر فمات فرحاً بها[2]!

وسياق الموت هنا لا يعطي معنى بلوغِ الغايةِ في الفرح، وإلا لكانت العبارة: فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم، فمات فرحاً بها وأخذها وانحدر، يؤيد هذا ما جاء في جمع الجواهر قال: "فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم، فمات فرحًا ولم يصل إلى البصرة"[3].

خاتمة

أظهرتنا الأخبار التي سقتُ للجمّاز على أنه ذو شخصية ظريفة لطيفة، ظريفة لأنه حاضر النادرة، سريع البديهة فيها، ولطيفة لأنه ممن لا يستنكف أن يصبح هو نفسه موضعاً للتندر، بل إنه ربما روى الأخبار في هذا عن نفسه جاعلاً إياها غرضاً للضحك، وهو ممن اتخذوا

---

(١) البيان والتبيين، ١٢٩/٣. ويقارن بما ورد في: خاص الخاص، الثعالبي، ٥٨.

(٢) تاريخ بغداد، ٢١٢/٤.

(٣) جمع الجواهر في المُلَح والنوادر، ١١٥، وانظر: نثر الدر في المحاضرات، مج٢، ١٨٥.

العبث والهزل مصدراً للكسب.

لقد كان هو نفسه نادرة منذ مولده باختلاف الناس في اسمه، والاسم مرتبط بالولادة، ونادرة في سائر حياته بأعابيثه ومجونه، ونادرة حتى بعد موته في التصحيف الذي وقع على لقبه.

ولقد كانت غايتي في هذا البحث عرضَ ما تناثر من أدبه، ودراستَه دراسة تحاول فهم جمال النادرة، ومصدر إضحاكها، أهو القول، أم شخصية الظريف، أما كلاهما معاً؟ وتحاول في الوقت نفسه أن تسائل السياق عن صدق الخبر واختلاقه.

ولئن حفلت كتب التراث الأدبي بكثير من أخبار الظرفاء إحماضاً بها واستراواحاً، ودفعاً للملل، فإنها قد وقفتنا من جانب آخر على أن البلاغة العربية قد التفتت إلى سرعة الجواب وبوّأته منزلةً في ضروب البلاغة، كما أن النقد الحديث قد مدّ يده إلى النادرة وقلّبها وتأملها من عدة جوانب، كالجانب الثقافي، والجانب الاجتماعي، والجانب النفسي، إلا أنني أرى كذلك أن تُتأمل من جانبها الفني والنفسي في آنٍ تأمُّلاً أوسع يجلّي بلاغتها، ويسبر أغوارها؛ لمعرفة مبعث الإعجاب بها.

كما أن كثيرا من الأخبار التي تضاربت فيها نسبتها إلى الجماز وغيره تجعلنا ندرك الحاجة إلى التثبت في عزو الأخبار، وإلى التثبت في تصديق الأخبار التي يرويها الظرفاء؛ لأنهم لا بد أن يتكثّروا من الأخبار ويختلقوا النوادر، أو تُختلق عليهم، فطائفة من الشخصيات التراثية صارت رموزًا تقبَلُ العامةُ ما يُنسب إليها وإن كان محالًا، كحاتم الطائي في الكرم، وعنترة في الشجاعة، وأبي نواس في المجون.

ثبت المصادروالمراجع

١- أخبار الظِّراف والمتماجنين، ابن الجوزي، بعناية: بسام عبدالوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢- أدب الخواص، في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها، الوزير المغربي، أعدّه للنشر: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣- أدب الكتاب، الصولي، نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجت الأثري، د.ن، د.ط، د.ت.

٤- الأذكياء، ابن الجوزي، تحقيق: تركي الدهماني، أمواج للطباعة، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

٥- ارتشاف الضرَب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٦- الإعجاز والإيجاز، الثعالبي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧- أعيان النصر وأعوان النصر، الصفدي، حققه: د. علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٨- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس، وآخرين، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

٩- الأمالي، يموت بن المزرع، عني بتحقيقه: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٠- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين، وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت.
١١- الأنساب، السمعاني، تقديم وتعليق: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٢- البخلاء، الجاحظ، حقق نصه وعلق عليه: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط٧، د.ت.
١٣- بدائع البدائه، ابن ظافر الأزدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠م.
١٤- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط٥، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
١٥- تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
١٦- تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٧- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تقديم وتحقيق: د. حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، دت.

١٨- تدوين المجون في التراث العربي، عبدالله بن سليم الرشيد، كنوز المعرفة، عمّان، ط١، ١٤٤٢هـ.
١٩- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، تحقيق: إحسان عباس و د. بكر عباس، ودار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٢٠- التشبيهات، ابن أبي عون، تحقيق: عبدالمعين خان، دار العرب للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، د.ط، ٢٠١٣م.
٢١- التكسب بالتحامق والرقاعات في الشعر العباسي – تحليل ثقافي، د. إبراهيم بن محمد أبا نمي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، العدد ٣٢، ٢٠١٨م.
٢٢- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٣- جمع الجواهر في الملح والنوادر، أبو إسحاق الحصري، حققه وضبطه وفصّل أبوابه ووضع فهارسه: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
٢٤- الحماسة الشجرية، ابن الشجري، تحقيق: عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٧٠م.
٢٥- الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٤١٦/١٩٩٦م.
٢٦- خاص الخاص، الثعالبي، قدم له: حسن الأمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٢٨- دمية القصر وعصرة أهل العصر، الباخرزي، تحقيق ودراسة: د.محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٢٩- ديوان البحتري، تحقيق: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.
٣٠- رسالة الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، عني بتحقيقها والتعليق عليها: د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، د.ط، ١٩٦٤م.
٣١- رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٢- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٣- الشعر في الكوفة منذ أواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث، د. محمد حسين الأعرجي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٧م.
٣٤- شعراء عباسيون منسيّون، إبراهيم النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٣٥- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار

المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
٣٦- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٣٧- عقلاء المجانين، أبو القاسم النيسابوري، تقيق وتعليق: مصطفى عاشور، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ط، د.ت.
٣٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٣٩- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، أبو إسحاق الكتبي الوطواط، دار صعب، بيروت، د.ط، د.ت.
٤٠- الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٤١- الكتابة والتناسخ: مفهوم المؤلف في الثقافة العربية، عبدالفتاح كيليطو، ترجمة: عبدالسلام بنعبد العالي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م.
٤٢- الكناية والتعريض، الثعالبي، قدم له: علي الخاقاني، مكتبة دار البيان، بغداد، د.ط، د.ن.
٤٣- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٤٤- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، اعتنى به: عبدالفتاح أبو غدة، اعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبدالفتاح أبو غدة، دار

البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٤٥- لطائف اللطف، الثعالبي، تحقيق: د. عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٤٦- اللطف واللطائف، الثعالبي، تحقيق: د. محمود عبدالله الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ٢٠٠٢م.
٤٧- مجمع الأمثال، الميداني، دققه: أحمد علي حسين، وطارق الأشهب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.
٤٨- المحاسن والمساوئ، البيهقي، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
٤٩- المذاكرة في ألقاب الشعراء، أسعد الإربلي، تحقيق: شاكر العاشور، دار صادر، بيروت، ط٥، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
٥٠- المعتمد في الأدوية المفردة، الملك المظفر يوسف التركماني، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٥١- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ط، د.ت.
٥٢- معجم الشعراء، المرزباني، تهذيب المستشرق: أ.د. سالم الكرنوكي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، د.ت.
٥٣- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المرزباني، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
٥٤- النادرة في بخلاء الجاحظ، إبراهيم بن صالح، وهند بن صالح الشويخ، دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠٠٤م.

٥٥- نثر الدر في المحاضرات، الآبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٥٦- نور القبس المختصر من المقتبس، المرزباني، اختصار: الحافظ اليغموري، عني بتحقيقه: رودلف زلهايم، دار فرانتس شتاينر بفيسبادن، د.ط، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٥٧- هجاء الذات في العصر العباسي: دراسة في البواعث والدلالات، د.إبراهيم بن محمد أبا نمي، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج٧، ع٢، (ربيع الثاني ١٤٣٥هـ/فبراير ٢٠١٤م).
٥٨- هجاء غير الإنسان في شعر المشرق من القرن الثاني إلى نهاية القرن السابع- موضوعات الهجاء ومحركات القول وخصائصه، د.إبراهيم أبا نمي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.
٥٩- الوافي بالوفيات، الصفدي، حققه وعلّق عليه: أبو عبدالله جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٦٠- الورقة، ابن الجراح، تحقيق: د. عبدالوهاب عزام وعبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ط٣، د.ت.
٦١- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.
٦٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

نظرات في تحقيق
شرح القصائد المعلقات
الحلقة الثالثة: في شرح قصيدة زهير

أ.محمد بن محمدي

سبق أن نشرت على صفحات العرب الحلقتين الأولى والثانية من "نظرات في تحقيق شرح القصائد المعلقات" وقد كانت الأولى في شرح قصيدتي امرئ القيس ولبيد، والثانية في شرح قصيدتي طرفة وعنترة، أما الحلقة الثالثة التي تُنشر في هذا العدد فهي في شرح قصيدة زهير:

- ص٣٣٥: (الذي يقول [**فيه**] عنترة) قوله: «فيه» خلا منه الأصل وأضافه المحقق وعلق عليه في الحاشية بأنه زيادة يقتضيها السياق، وهو كما قال، لكن لعل الأَولى أن يجعل اللفظ المزيد على النص: «**لَه**»، ذلك أن هذه القصة التي افتُتِح بها شرحُ ميمية زهير يرويها ثعلبٌ في أول ديوان زهير الذي صنعه بطولها لا يُخالِف لفظُه لفظَ الكتاب الذي بين أيدينا إلا في حرفين أو ثلاثة، وذلك يدل على أن مصدر القصة عنده وعند أبي نصر واحد، وعبارته في هذا الموضع: (الذي يقول [**لَه**] عنترة)، كما يجمُلُ أن يُنبّه في الحاشية لما ذكرتُ من تَطابُقِ ألفاظ الكتابين[1].

(١) شرح شعر زهير لثعلب (ص: ١٥-١٦).

- ص٣٣٥: (من بني عبس ثم من بني غالب .. رجل من بني عبس ثم من بني مخزوم .. فلم يزل ينتسب حتى انتسب إلى غالب) لم يُفسَّرْ المقصود ببني غالب ولا بني مخزوم، فما ضَرّ لو أضيفت حُوَيشِيَة موجزةٌ توضح أن مخزوما المذكور هو ابن مالك بن غالب ابن قُطَيعَةَ بن عبس؟.

- ص٣٣٥: (فلما بلَغَ **الحارثُ ركوبَ** بني عبس) كذا في المطبوع، برفع الحارث ونصب ركوب، وهو خطأ، صوابه القلب: (بَلَغَ **الحارثَ ركوبُ**).

- ص٣٣٦: (وأبو سُلمى هو **ربيعة** بن رياح بن قرط بن الحارث بن **حَلاوة** بن ثعلبة بن ثور بن **مرة**) كذا في المطبوع، ومثله في الأصل إلا أن فيه (**ربيع** بن رياح) فأصلحه المحقق، من غير أن يبين ذلك، وترك سائر الأخطاء على حالها، وفي هذا النسب تصحيف وتحريف وسقط:

- فقوله: (الحارث بن **حلاوة**) سقط منه اسم وتصحّف آخر، وإنما صوابه: (الحارث بن [**مازن بن**] **خَلَاوَة**)، «بفتح الخاء المعجمة بعدها لام»[1].

- وقوله: (**بن مرة**) لا قائل به، وليس في آباء الرجل من اسمُه مرة، ويمكن أن يكون هذا تحريفا صوابه: (**من مُزَينَةَ**).

---

(١) قاله عبد القادر البغدادي في حاشيته على شرح ابن هشام لبانت سُعادُ (١: ٣١)، وفي الصفحة نفسُها ذِكرُه ما كان من أخذ الصفدي على الجوهري نسبته زهيرا مازنيا، ونصرُ البغدادي كلامَ الجوهري بإثبات مازن.

- والرجل قد نسبه ابن الكلبي في جمهرته[1] فقال: زهير بن أبي سُلمى ربيعةَ بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن خَلاوَة بن ثعلبة بن ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أدِّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار.

- ص٣٣٧: (وهم **يخرجون** من هذا البلد) هذا مخالف لما في الأصل، وهذه صورة ما فيه:

والظاهر أن صواب قراءته: (**يَقْرُبونَ**) أي إن ديارهم قريب من هذا الموضع.

- ص٣٣٧: (ما تجمع فيها من الأرواث **والسِّرْجِين**) كذا في المطبوع، وهو صواب، غير أن الذي في الأصل: (**السِّرْقِين**) بالقاف، وهما واحد.

- ص٣٣٨: (إحداهما بقرب المدينة، **وأخرى** بقرب البصرة) الذي في الأصل: (**والأخرى**).

- ص٣٣٨: (وقوله: **كأنه** مراجع وشم) الذي في الأصل: (**كأنها**) وهو لفظ زهير.

- ص٣٣٨: (**والنواضر**: عروق باطن الذراع) هذا تحريف، والذي

(١) انظر: جمهرة النسب، لهشام ابن الكلبي (ص: ٢٨٧-٢٨٨)، ومختصر الجمهرة للغساني (ص: ٣٨/ظ-٣٩/و).

في الأصل: (والنواشر) وهو لفظ زهير.

- ص٣٣٨: (والمراجع: جمع المرجع، وهو ما كرر من الخضاب والوشم حين يستقر به المعصم) هذا مخالف لما في الأصل، وهذه صورة ما فيه:

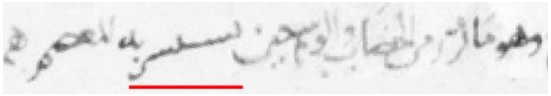

فيمكن أن يُقرأ: (ما كرر من الخضاب والوشم حين يَسْتَسِرّ به المعصم)، أي حين يُخفِيه المعصمُ، أي حين يطول به الزمن ويَندَرِسُ لونُه في جلد المعصم، واستعمال استسر لازما ومتعديا باختلاف المعنى مألوف في عصر الشارحَين، استسر الشيءُ الشيءَ أي أخفاه، ومنه قول مسلم بن الوليد في الحماسة:

قبـربحلـوان اسْتَسَـرَّضـريحُه خَطَـرًا تقاصَـرُدونَـه الأخطـارُ

قال المرزوقي: «قوله: اسْتَسَرّ بمعنى أَسَرّ، ومثلُه اسْتَعْجَب بمعنى عَجِبَ، وأكثر ما ترى استسر يكون في معنى استخفى وتوارى، على ذلك قولهم في آخر الشهر استسر القمر ليلةً أو ليلتين، فهو من السرار، وهو آخر يومٍ في الشهر»[1]، فالأول المتعدي، والآخِرُ اللازم، قال نشوان الحِمْيَري: «وكل شيء اسْتَخْفَى فقد اسْتَسَرَّ»[2].

على أنه لا يبعُدُ فيما أُرَى أن يكون قول الناسخ: «حِينَ» تصحيفا صوابه: «حَتَّى»، فتكون صحة قراءته: (ما كرر من الخضاب والوشم

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١: ٩٤٤).

(٢) انظر: شمس العلوم لنشوان الحميري (٥: ٢٩٣٢).

حَتَّى يَسْتَشِرّ به المعصم)، من قولهم: «أَشَرَّ الشيء: أظهره»[1].

- ص٣٣٩: (والعِينُ: البقر، **سُمِّيَتْ** عِينًا لسعة أعينهن) الذي في الأصل: (**سُمِّيَ** عِينًا)، ولعل الصواب: (**سُمِّيَنَ** عِينًا).
- ص٣٣٩: (عيناء بيّنة العِينة) الذي في الأصل: (عيناء بينة [و]العينة)، وهذه صورته:

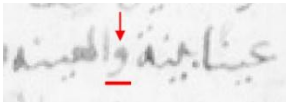

وأحسب أن فيه سقطا بدلالة هذه الواو، وأن صوابه: (عيناء بينة [**العَيَنِ**] والعِينَة)، قال أبو محمد بنُ برّيّ: «يقال: عَيِنَ الرجلُ يَعْيَنُ عَيَنًا وعِينَةً، وهو أَعْيَنُ»[2].

- ص٣٣٩: (**ويغدو** فيها أطلاؤها لا ترى ما يذعرها) لا نقط في الأصل، والجادة: (**وتَغْدو**).
- ص٣٤١: (تبقى من الحوض الذي **يَحوضُ** في المكان الصلب) هذا الضبط خطأ، والصواب: (**يُحَوَّضُ**)، «حُضْتُ أَحُوضُ اتخذت حَوْضا .. والتَّحْوِيضُ عمل الحَوض»[3].
- ص٣٤١: (لم يتثلم لأنه **يبقى** في مكان صلب) الصواب ما في الأصل (**شُقَّ**) وهذه صورته:

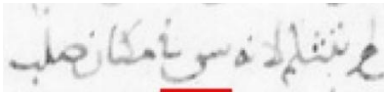

(١) لسان العرب (١٧: ١٧٧).
(٢) لسان العرب (٦: ٦٩).
(٣) لسان العرب (٨: ٤١١).

- ص٣٤١: (وقوله: كميتا الأعالي أي ليس يُصادفنَ السواد، لأن مكان القدر من رؤوسهما ردت عنه القدر شدة لهب النار، ثفيتا **فَاكمَاتَّتْ** ولم تَصدِفْ سوادهُ كما صَدَفَ سوادُ مُقبل الأثافي على المصطلى) كذا في المطبوع، وهو كلامٌ غيرُ ذي معنى، وهذا الموضع من النص اعْتَوَرَه إفساد الناسخ وتصحيفُ الطابع، وهذه صورة ما في الأصل:

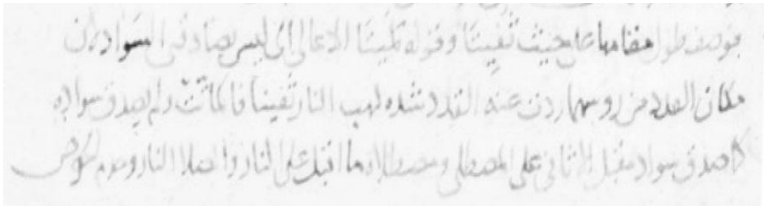

والظاهر أن صوابه: (وقوله: كُمَيْتَا الأعالي أي **ليسَتا بصادِقَتَي** السواد، لأن مكان القدر من رؤوسهما رَدَّتْ عنه القدرُ شدة لهب النار، ثُفِيَتا **فَاكْمَاتَّتَا** ولم **يَصْدُقْ سَوادُهُما** كما **صَدَقَ** سوادُ مُقبل الأثافي على المصطلى)، وقوله: (**بصادقتي** السواد .. ولم **يصدق** .. كما **صدق**) كتبها الناسخ على الصواب، والألوان وغيرها توصف بالصدق مُرادًا بذلك الشدة والخُلوص، قال ابن دريد: «وتمر صادق الحلاوة: إذا اشتدت حلاوته»[1].

- ص٣٤١-٣٤٢: (وجِذم الحوض أصله **بعدما أكثر**، ومن روى

(١) في جمهرة اللغة (٢: ٦٥٦)، ومنه قول أبي طالب المأموني:

وذات احمرار صادق اللون خلتها أرتنا بأعكان لها شطب النصل

انظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١: ٧١٩).

كحوض الجُدِّ جعل الجُدّ بئرا في وسط الكلأ) كذا في الأصل وفي المطبوع، ولا يظهر معنى لجملة (بعدما أكثر) في هذا الموضع، ولا يُومَنُ الناسخُ على النص أن يكون قدّم فيه وأخّر على عادته الغريبة التي سلف ذكرها مرات[1]، وهذه صورة ما في الأصل:

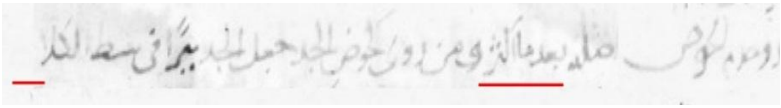

فينظر لعل صحة الكلام: (وجِذم الحوض أصله، ومن روى كحوض الجُدِّ جعل الجُدّ بئرا في وسط الكلأ **بعدما كَثُرَ**)، وكذلك وَصَفُوا الجُدّ، ففي لسان العرب: «الجُدُّ بالضم البئر التي تكون في موضع كثير الكلأ .. وهي البئر الجَيِّدَةُ الموضعِ من الكلأِ»[2].

- ص٣٤٢: (لأن الناس **يُربِعُون** فيها، أي: **يَنتَجِعُون**) هذا تحريفٌ قَلَبَ المعنى وهو بعدُ مخالف لما في الأصل، وهذه صورة ما فيه:

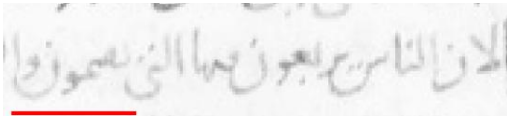

وإنما صحة قراءته: (لأن الناس **يَرْبَعُون** فيها، أي: **يُقِيمُونَ**) «رَبَع بالمكان يَرْبَعُ رَبْعًا: اطمأَنّ، والرَّبْع: المنزل، والدار بعينها، والوَطَنُ متى كان وبأَيِّ مكان كان، وهو مشتق من ذلك، ...، الرَّبْعُ: المنزل، ودارُ الإِقامة، ورَبْعُ القوم: مَحَلَّتُهم، .. ورَبَعَ بالمكان رَبْعًا: أَقامَ»[3].

---

(١) ذكرتها في الكلام على مشكلات (ص٢٣٤).

(٢) لسان العرب (٤: ٨٠).

(٣) لسان العرب (٩: ٤٥٨).

- ص٣٤٣: (علون بها: أي طرحنها على أعلى المتاع) أُسقِطَت هنا - من غير بيان- كلمة في الأصل، هذه صورتها:

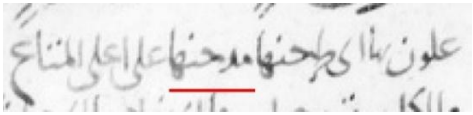

ويشبه أن تكون: (**[وَ]مَدَدْنَها**).

- ص٣٤٣: (شاكَهَ وشاكَلَ **وقَاينَ** وضاهَى كلُّه: شابَه) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو تصحيف، وإنما صوابه: (**وقَانَى**)، ففي هذا الموضع من شرح ثعلب: «يقال: شاكهه وشاكله وشابهه وقاناه وضاهاه»[(١)]، وقال أبو بكر بن الأنباري: «قال يعقوب: يقال ما يُقانِيني خُلُق فلان، أي: ما يُشاكِلُ خُلُقي»[(٢)].

- ص٣٤٤: (أي: أبقينها **على** الهودج فصيرنها **كالعَدَائِن**) كذا في المطبوع، وشرح المحقق العدائن في الحاشية، وأُراهُ تصحيفا مخالفا ما في الأصل، وهذه صورته:

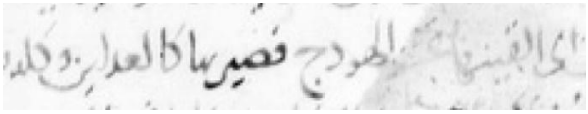

ويشبه أن يكون صوابه: (أبقينها **بجنبي** الهودج فصيرنها **كالعِدْلَيْن**)، أما كلمة (**العِدْلَيْن**) فلا يرتاب فيها من تأمل صورتها، وأما كلمة (**بجنبي**) فعلى غالب الظن، ويستانس لذلك بقول أبي سعيد الجائي

(١) شرح شعر زهير لثعلب (ص: ١٩).

(٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ص٧١).

بعد هذا بقليل: «فيجعلون عِكمين في **جانب الغبط**»، وهو هكذا في الأصل والمطبوع، ولعل الصواب: (**جانِبَي الغَبِيط**)، كعبارة العَيْن: «**العِكْمانِ** عِدْلانِ يُشَدَّان على جَانِبي الهودج»[1].

- ص٣٤٤: (إنما يصف حُسن حالِهِنّ و**وُجدِهِنّ**) كذا، بالجر عطفا على "حالِهن"، ولعله لو نصب عطفا على "حُسنَ" لكان أولى.

- ص٣٤٤: (وقال بعضهم: هو **البَقَّمُ**) هذا تغيير لنص الأصل تقليدا لما في شرح ابن الأنباري من غير تنبيه ولا بيان مُوضح، ولا حاجة إليه، فما في الأصل صحيح صواب، وهذه صورته:

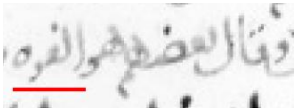

وصواب قراءته: (وقال بعضهم: هو **الفُوَّةُ**)، والفُوّةُ «عُروق نبات يستخرج من الأَرض يُصبغ بها، وفي التهذيب تُصبَغُ بها الثياب، ... ولفظها على تقدير حُوّة وقُوّة، وقال أَبو حنيفة: الفُوّة عروق، ولها نبات يسمو دقيقًا في رأْسه حَبٌّ أَحمرُ شديدُ الحُمْرَة كثيرُ الماءِ، يُكتَبُ بمائِه ويُنقَشُ»[2].

- ص٣٤٥: (والمنظر و**المرآى** سواء) كذا في المطبوع وهو صحيح، غير أن الذي في الأصل: (**المَرْآةُ**) وهو صحيح أيضا[3]، فلا حاجة إلى

---

(١) العين (١: ٢٠٨).

(٢) لسان العرب (٢٠: ٢٦).

(٣) في لسان العرب (١٩: ٧): «والرِّئْيُ والرُّوَاءُ والمَرْآة: المنظر».

تغييره:

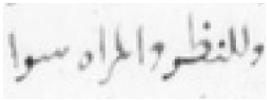

- ص٣٤٦: (فَبِّمْ دَلوَك فتزيد فيه بَنِيقَةً) كذا في الأصل والمطبوع، والجادة: (فِيها) لأن الدلو مؤنثة[١]، وهذا اللفظ بحروفه في شرح ثعلب لديوان زهير[٢]، وفيه: (فيها) على الجادة.
- ص٣٤٦: (وإذا زدت في الجوالق رِقعَةً) كذا في المطبوع، والجادة: (رُقعَةً) بضم الراء.
- ص٣٤٦: (جُعِلَت الثياب حواليه فَيْأَمَيْنِ أي عِدْلَين) الصواب: (فِئَامَيْنِ)، وهو الذي في الأصل:

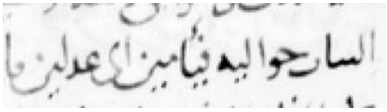

فالهمزة على الياء: (فِيَئَامَين)، ونقطُها باثنتين كما في الأصل يفعله النساخ كثيرا، ولا يريدون به أنها ياء، وفي شرح هذا البيت نفسه كتب الناسخ بفئام بياء:

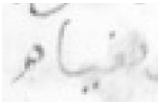

والفئام «عِكْم مثل الجُوالِق صغيرُ الفَم يُغَطَّى به مَرْكب المرأَة، يُجعَل واحد من هذا الجانب وآخر من هذا الجانب»[٣]، ويقطع

(١) انظر: المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني (ص١٥٩).
(٢) شرح شعر زهير لثعلب (ص: ٢١).
(٣) لسان العرب (١٥: ٣٤٣).

بصواب هذا أيضا قول أبي سعيد بعد هذا الكلام بقليل: «وإن شئتَ قلتَ الذي أُفْئِمَ، وهو أن يُحَفّ بفِئام يُجعل فيه القماش، وهو كساء أو شيء يُدارُ حول الغبيط، فيُجعل فيه القماش».

- ص٢٤٦: (وهو هاهنا المصبوغ، **شبَّه** بحب الفنا الذي لم يحطم)، كذا في المطبوع، ولعل صوابه: (**شُبِّهَ**)، ولَأَن يكون (**شَبَّهَهُ**) - أي زهير- أحسن وأوضح.

- ص٣٤٧: (يُقال: حَطَمتُه فهو محطوم. قال أبو سعيد) أُسْقِطَت مما في الأصل هنا ثلاث كلمات من غير تنبيه لذلك، ولعله انتقال بصر، وهذه صورته:

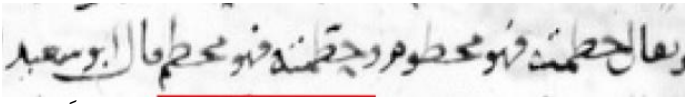

فصحة قراءته: (يُقال: حَطَمْتُه فهو محطومٌ، [**وَحَطَّمْته فهو مُحَطَّم**]. قال أبو سعيد).

- ص٣٤٧: (يُقال: **عَهّنتُه إذا قُلِّدَ به العُهونُ**) كذا في المطبوع، ولم يتكلّف المحقق شرحَه، وهو الذي في الأصل:

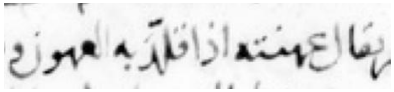

إلا ضبط (**عَهّنتُه**) فهو من المحقق، والظاهر أن ما في الأصل مصحف، وأن صواب النص: (يُقال: **عَهَنْته إذا قَلَّدْته العُهونَ**)، أي: إذا قلّدت بعيرك قِلادَة مِن عِهْن، وقد كانت القلائد ربما فُتِلَتْ من العِهْن، ففي الصحيحين حديثُ أم المومنين عائشة رضي الله عنها

تذكر هَدْي النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «فتلتُ قلائدها من عِهْن كان عندي»[1]، وبَوّب عليه الإمام أبو عبد الله البخاري في صحيحه: «باب القلائد من العهن»، وإذا صحّ هذا فلعل هذا الفعل: «عَهَنْته» مما فات المعاجم، فينبَّه لذلك بعد الاجتهاد في التنقيب عنه.

- ص٣٤٧: (نبت من العشب، حسن **ذا** شوك) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو غريب، والجادة الرفع: (**ذُو** شوك).
- ص٣٤٧: (الظعائن بكرن بكورا أي **يمشين**) هذا تحريف، وإنما الصواب: (**غَلَّسْنَ**)، وهو الذي في الأصل:

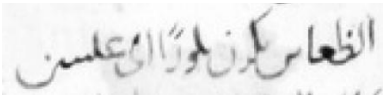

- ص٣٤٨: (قال أُبيردُ بن **عقاب**) كذا في الأصل وفي المطبوع، وأخشى أن يكون تحريفا صوابه: (**عَتَّاب**)، فهذا الأبيرد بن **المُعَذِّر**[2] ابن قيس بن عتاب بن هَرَمي[3] بن رِيَاح بن يربوع، كأنه نُسِبَ إلى

---

(١) هذا لفظ البخاري، انظر: فتح الباري (٣: ٥٤٨)، وانظر لفظ مسلم في منهاج المحدِّثين للنووي (٨: ١١٧).

(٢) المُعَذِّر بوزن مُحدِّث، انظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (ص٤٦١، بتحقيق عبد العزيز أحمد).

(٣) بفتح الهاء والراء، ضَبطه الأمير ابن ماكولا في إكماله (٧: ٤١٠-٤١١)، ويظهر أن في الإكمال (١: ١٠-١١) وَهْما من مصنفِه أو بعضِ مَن فوقَه خلط فيه بين الشاعر الأبيرد بن المُعذِّر الرياحي وابن عمه الفارس البطل: الأبرد بن قرة الرياحي، وليس هذا موضع إيضاح ذلك بالتفصيل.

جدّه لشهرته، وهو عتاب الذي كانت له رِدافة المنذر بن ماء السماء[1].

- ص٣٤٩: (قد **أَلْفَيْنَ** منتجعهن) هذا تحريف، وهذه صورة ما في الأصل:

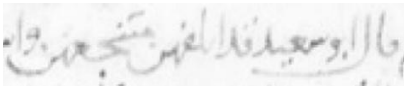

فصحة قراءته: (قد **أَبْلَغَهُنّ** منتجعهن)، يريد أن زهيرا ذكر رحلتهن إلى أن بلغن غايتهن، وقوله: «وضعن عصي الحاضر المتخيم» تصريح بذلك.

- ص٣٤٩: (قوله: [جعلن: أي] الظعائن **جعلن** هذا) كذا في المطبوع، استفاد المحقق في هذا الموضع من شرح القصائد السبع المعلقات المنسوب إلى الكموني كما ذكر فأضاف ما بين الحاصرتين، غير أن كلمة (**جعلن**) الآخرة غير مطابقة لما في الأصل، فالذي فيه: (**فَعَلْنَ**)، وهي صحيحة أيضا، فلا داعي لتغييرها:

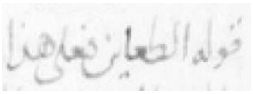

- ص٣٤٩: (يقول: كم بالقنان **لنا** من عدو لنا وصديق)، كذا في الأصل وفي المطبوع، وفيه ركاكة ظاهرة، ولعل الصواب حذف (**لنا**) الأولى.

---

(١) انظر: نقائض جرير والفرزدق (ص: ٢٩٨-٣٠١).

- ص٣٥٠ بيت خِدَاش العامري:

.... لـــم يـــرعَ غَيـــثَهُم

غيّره المحقق اتباعا لرواية "شعر خِداش" والذي في الأصل: (فيهمُ) والوزن والمعنى صحيحان بها، فالأولى تركها على حالها إذ لا يدري حاذفُها لعلها رواية فيه، ويكفي التنبيه في الحاشية لمخالفتها للرواية المشهورة.

- ص٣٥٠: (والحارث بن أبي حارثة) كذا في الأصل والمطبوع، وهو مختصر اختصارا مخلا، وإنما الصواب: (الحارث بن [عوف] بن أبي حارثة)، وقد سلف له ذكره على الصواب ص٣٣٥ بين يدي القصيدة، وهو ابنُ عَمِّ لَحِّ لهَرِم بن سنان بن أبي حارثة وليس عما له.

- ص٣٥١: (والسحيل خيط واحد يُضَمُّ إليه آخر) كذا في المطبوع، وهو خطأ جرّه سقوط حرف ثابت في الأصل، وإنما الصواب: (والسحيل خيط واحد [لا] يُضَمُّ إليه آخر):

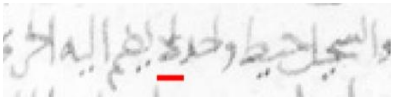

وهذا بحروفه في شرح ثعلب لديوان زهير[1]، وفي شرح ابن الأنباري[2].

- ص٣٥١: (ولأمر **لم تحكماه** ولم تحملاه) ليس هذا بمطابق لما

(١) انظر: شرح شعر زهير لثعلب (ص: ٢٣).

(٢) انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ص٢٦٠).

في الأصل، فهذه صورته:

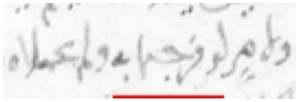

فلعل صحة قراءته: (ولأمر **لو فوجئتما به** ولم تحملاه).

- ص٣٥١: (خيرًا لهم مما **يختارون** فرجعوا إليهم) هذا ليس بمطابق لما في الأصل، فهذه صورته:

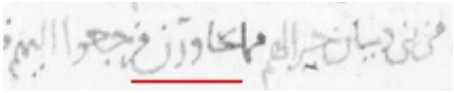

وصواب قراءته: (خيرًا لهم مما **يُجَاوِرُون** فرجعوا إليهم).

- ص٣٥٢: (سنان بن حارثة المري) هكذا في الأصل، وفي المطبوع، ولم يُعَلَّقْ عليه فيه، وهو خطأ صريح، فهذا النسب شهير معروف، والغلط في مثله هو من إسقاط الناسخ ولا ريب، فالصواب إتمامه: (سنان بن [**أبي**] حارثة المري).

- ص٣٥٢: (**يقول**: أمضغتُ الرجل إذا أعطيته أرشا هينا لا يثقل عليك) كذا في المطبوع، ولا نقط في الأصل، فصوابه: (**تقول**) لأنه تمثيل جرت عادته به في الكتاب هكذا، ويدل عليك قوله في آخر الكلام: (عليك).

- ص٣٥٥: (أصبحتما **مُهنَّأَيْنِ** عليهم **منه**، حَسُنَ **موضعهما** منها) كذا في المطبوع، وفيه تغيير ومخالفة لما في الأصل من غير إبانة، وما في الأصل فهذه صورته:

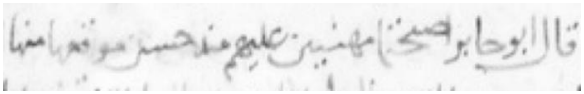

وأُرى الناسخ صحف فيه وحرف، ولعل صواب قراءته: (أصبحتما **مُهْنِئَيْنِ عليها مِنَّةً حَسُنَ مَوْقِعُها** منها)، «أهْنَأَهُ: أعطاهُ»[1]، فيكون الجالب لعَلَىٰ كونه ضَمّنَها معنى المِنّة والإنعام، وقد تكون «**مُهْنِئَيْنِ**» محرفة من: (**مَانَّيْنِ عليها**).

- ص٣٥٥: (قال أبو سعيد: منها أي من الصلح، أي أصبحتما من السلم الذي **تمنيتماه** على خير موطن) كذا في المطبوع، وهذه صورة ما في الأصل:

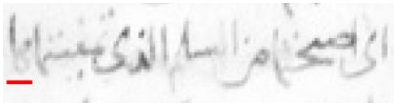

وأُرى صواب قراءته: (قال أبو سعيد: منها أي من الصلح، أي أصبحتما من السلم **التي تمنيتُماها** على خير موطن)، فقوله: «**تمنيتُماها**» هو الذي في الأصل، فتُصلَح: «**الذي**» وتجعل «**التي**» ليكون سياقُ كلام أبي سعيد مُوضحًا سبب التأنيث: «**منها**»، وقد مضى له في شرح البيت السالف قوله: «والسلم يُذكّر ويؤنث».

- ص٣٥٥: (قال أبو جابر: استبحتُه: أخذته وأبحتُه غيري، ولغيري **ما استباحه**: أي أخذه) كذا في المطبوع، كأن المحقق فهم منه أن اللام في (لغيري) متعلقة بـ«استباحَه» الجائِية بعدها، وهو خطأ، إذ ليس هذا هو مقصود الشارح، وهذه صورة ما في الأصل:

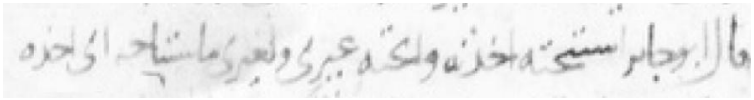

(١) لسان العرب (١: ١٨٠).

وصواب قراءته: (قال أبو جابر: استبحتُه: أخذته، وأبحتُه غيري ولغيري، **فَاسْتَبَاحَه**: أي أخذه)، فقوله «لغيري» متعلق بـ«أبحته» المتقدم عليه، ومعنى كلام أبي جابر: استبحتُ الشيء: أخذته، وأبحتُ الشيءَ غيري وأبحته لغيري، فاستباحه أي أخذه، فمُراده أن أَبَاح يتعدى بنفسه إلى مفعولين ويتعدى باللام أيضا، وفي اللسان: «وأَبَحْتُك الشيءَ: أَحللته لك، وأَباحَ الشيءَ أَطلقه»[1].

- ص٣٥٦: (وإنما أراد بالكنز ما سعيا في حمل تلك الدماء مرتين، وطلبا **الصلحَ**، و**تسكينَ** الشر) كذا في المطبوع، فسقط منه حرف، والصواب: (وطلبا [**مِنَ**] **الصلحِ**، و**تسكينِ** الشر)، أي: أراد بالكنز ما سعيا .. وما طلب من الصلح، وهو الذي في الأصل:

- ص٣٥٦: (ما **كسِبْتُما** به) كذا، والجادة: (**كَسَبْتُما**)، إذ الفعل من باب ضرب[2]، وتقدم مثله ص: ١٥٣، ٢٥١، غيرَ أن الذي في الأصل المخطوط: (ما **اكتَسَبْتُما**) والتاء الأولى بارزة جليّة:

- ص٣٥٦: (قال أبو عبيدة: من **إفَالٍ** مزنم، وهو فحل معروف بالنجابة) كذا في المطبوع، وهو في هذا الموضع خاصة خطأ في

(١) لسان العرب (٣: ٢٣٩).

(٢) صرّح به الرازي في مختار الصحاح (ص٢٦/ظ)، ومثله في المصباح المنير (٢: ٥٣٢).

الضبط، والصواب هنا إضافة إفال إلى مزنم بلا تنوين: (**إفالِ مُزَنَّم**)، لأن مَعمَرًا يجعل الإفال من ضَرْبِ فحل نجيب اسمه مُزَنّم، ولا يصحّ تنوين إفال إلا على القول الآخر، وهو أن التزنيم سِمَة لإبلٍ كَرائم.

- ص٣٥٦: (والتِلاد جمع التليد: وهو المال يرثه عن أبيه) كذا في الأصل، ولعل فيه سقطا تمامه: (يرثه [**الرَّجُلُ**] عن أبيه) أو نحو ذلك.

- ص٣٥٧: (وهذا المزنم هو الحشو من الإبل، وهو صغار الإبل، لأنها في **ثقب الجلد** كالزنمة: **زنمةُ** الأذن، وكل **مستحلق** فهو مزنم) كذا في المطبوع، وهو فاسد، هذه صورة ما في الأصل:

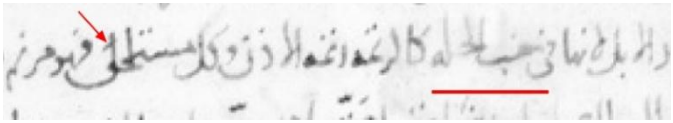

ففيه أشياء:

- (**ثقب الجلد**) تحريف، صوابه: (**جَنْبِ الجِلَّةِ**) أي هذا الحشو من صغار الإبل في جنب جِلّتها أي كبارها، «وجِلَّةُ الإبل: مَسَانُّها، وهو جمع جَلِيل، مثل صَبِي وصِبْية، ... أَخذت جِلَّة أَموالهم أَي العِظام الكِبار من الإبل، وقيل: المَسانُّ منها، وقيل: هو ما بين الثَّنِيّ إِلى البازل»[1].

- (**زنمةُ** الأذن) كذا بالرفع، وله وجه، والجادة الجر.

(١) لسان العرب (١٣: ١٤٢).

- (وكل **مستحلق**) تحريف، صوابه: (**مُسْتَلْحَقٍ**)، ورسمها الناسخ أولا: (**مستحق**) ثم أضاف اللام فأخطأ موضعها فجعلها بين الحاء والقاف: (**مستحلق**) وهو الذي قلّده المحقق، مع أن الناسخ تنبه لخطأه فضرب على اللام المتأخرة ضربا واضحا، وأثبت لاما بين التاء والحاء: (**مُسْتَلْحَقٍ**) وهي الصواب، ففي اللسان: «والزَّنِيمُ والمُزَنَّمُ: المُسْتَلْحَقُ في قوم ليس منهم لا يُحتاج إليه فكأَنه فيهم زَنَمَةٌ»[1]، وفي خزانة الأدب: «والمُزَنَّمُ من الناس: المُسْتَلْحَقُ في قوم ليس منهم، ومن الإبل: الذي يُقْطَع شيء من أذنه ويترك مُعَلقا، وإنما يُفعَل ذلك بالكرام منها»[2].

فالحاصل أن صواب قراءة هذا الموضع: (لأنها في **جَنْبِ الجِلَّةِ** كالزنمة: **زنمةِ** الأذن، وكل **مُسْتَلْحَقٍ** فهو مُزَنّم).

- ص٣٥٧: (عفا الجلد يعفو عَفْوًا إذا ذهب عنه أثر **الدم** فهو عافٍ) كذا في المطبوع، وهو غير مطابق لما في الأصل، ولم يُنَبّه لذلك، وهذه صورته:

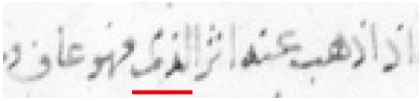

فانظر هل صحته: (أثر **الأَذَى**) ؟.

- ص٣٥٨: (ويُروى: ولم يُهَريقوا فيهمُ، ويروى: ولمّا يُريقوا بينهم، يقول: هؤلاء **لزموا** الديات، لم يريقوا بينهم ملء محجم) كذا في

(١) لسان العرب (١٥: ١٦٨).

(٢) خزانة الأدب (١٠: ٨٤).

المطبوع، وهو غير مُطابق لما في الأصل، وفيه إسقاط من النص، ولم يُنَبّه لذلك، وهذه صورته:

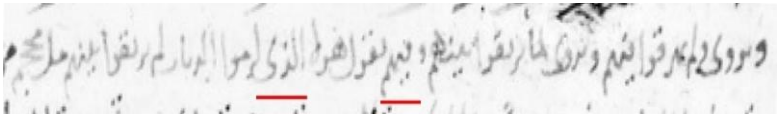

وصحة قراءته: (ويُروى: ولم يُهَريقوا فيهمُ، ويروى: ولمّا يُريقوا بينهمْ، [وفيهمُ]، يقول: هؤلاء [**الذين**] **لزموا** الديات، لم يريقوا بينهم ملء محجم)، فقوله: (**وفيهم**) يظهر أنه يريد به أن الروايات أربع: الأولى رواية المتن: «ولم يُهَريقوا بينهمْ» | والثانية: «ولم يُهَريقوا فيهمُ» | والثالثة: «ولمّا يُريقوا بينهمْ» | والرابعة: «ولمّا يُريقوا فِيهمُ»، وهذه الأخيرة هي التي ألغاها المحقق.

- ص٣٥٨: (قال أبو سعيد: يقول: **احتملا** من لم يجن فيها ذنبا) كذا في الأصل وفي المطبوع، والظاهر أنه تحريف، صوابه: (**احتملهَا**) أي هذه النجوم.
- ص٣٥٨: (قال ويروى: فمن مبلغ الأحلاف) وعلّق عليه المحقق في الحاشية (٣) مفيدا بأنها رواية الأصمعي، وعزا ذلك إلى مصدره، ويُضاف إلى ما قال أنها رواية أبي عبيدة بن المثنى، ففي شرح ديوان زهير المخطوط ذي الرقم ٣٩٦٨ المحفوظ بخزانة نور عثمانية (ص١٠/و-ظ) ما نصه: «وروى أبو عبيدة: فمن مبلغ الأحلاف عني رسالة».
- ص٣٥٩: (وما العلم والخبر عنها **بِحَيثُ** يرجَّم فيه الظن)، هذا

تحريف، صوابه: (بِحَدِيثٍ)، وهو لفظ زهير، وهو الذي في الأصل:

- ص٣٦٠: (أي: **و إنه** بحالِ شكٍّ فِيَّ)، كذا في المطبوع، خُولِفَ به ما في الأصل بلا تنبيه، والذي في الأصل:

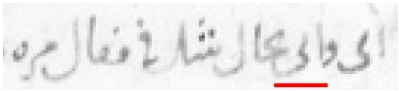

(**و إني** بحال شك فِيَّ)، وهو صواب، وقد يكون: (**و إني** بحال **يُشَكُّ** فِيَّ).

- ص٣٦٠: (قد عرفتم الحرب، **وعهدها** قريب)، كذا في المطبوع، وهو أيضا خُولِفَ به ما في الأصل بلا تنبيه، والذي في الأصل:

وهو مقروء، فصحة قراءته: (**وعهدكُم بها** قريب).

- ص٣٦٠: (كما **يَضْرَ** السبع)، كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو خطأ، صوابه: (**يَضْرَى**).

- ص٣٦١: (يَضْرَى **أَسباع** الطير) كذا في المطبوع، وهو خطأ، وإنما كتب الناسخ: (كما **يَضْرَا**) بالألف القائمة:

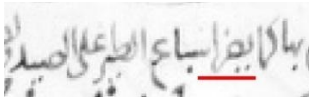

فجعلها المحقق هَمْزَةً من أَسْبَاع، كأنه جعلها جمعًا لسبُع، وقد تقدم عن سيبويه ما يُبطِلُ ذلك في الكلام على ما في ص١٥٠،

فالصواب: (**يَضْرَى سِباع الطير**).

- ص٣٦١: (ويقال: رحى ورحيان وأرحية **وأرحاء، وجمع الثِّفال الثُّفْلُ**) كذا في المطبوع، وهذا أيضا خُولِفَ به ما في الأصل بالتغيير والإسقاط من الكلام بلا تنبيه، والذي في الأصل:

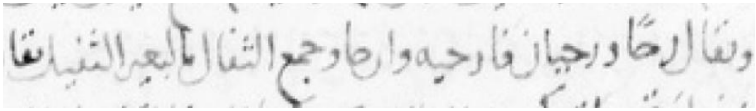

فكأن صحة قراءته: (ويقال: رَحًى ورَحَيَانَ، **فأرحيةٌ** وأرحاءٌ، **جَمْعٌ. الثَّفَال: البعير الثُّقِيلُ**)، وهذا استطراد من الشارح لِلفظٍ يجمعُه أصل الاشتقاق باللفظ المشروح، وقد جاء مثله كثيرًا في الكتاب، «وبعير ثَفَال: بَطِيء، بالفتح، ...الثَّفَال البطيء الثقيل الذي لا يَنْبعث إلا كَرْها»[1].

- ص٣٦١: (ويقال: نُتِجَت الناقة تُنتَجُ نِتاجًا إذا حضرها صاحبها أو غيره، **وأنتجَت تُنتِجُ** إذا وَضعت غير محضورة) كذا في المطبوع، وليس مطابقا لما في الأصل فهذه صورته:

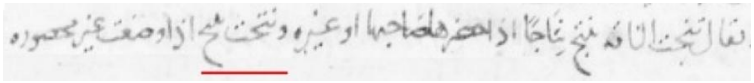

وكأن المحقق أخذ ما غَيّرَ به النصَّ هنا من مطبوعة شرح ابن الأنباري، ففيها ما نصه: «ولا يكون الفعل لها إلا في قولك "**أنتجت**" الناقة، وذلك إذا نُتِجَت فوضعت ولدها وليس أحدٌ يحضرها»[2]، كذا فيه، وهو تصحيف، صوابه: «إلا في قولك "**آنتَتَجَت**" الناقة»،

(١) لسان العرب (١٣: ٩٠).
(٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ص٢٦٩).

قال أبو سعيد الأصمعي في كتاب الإبل: «فإذا فرقت الناقة وليس عندها أحد قيل: قد آنتَتَجَت الناقة، ولا يَجِيء الفعلُ[1] في شيء من النتاج إلا في هذا الموضع، وإلا فإنما يقال: نُتِجَتْ، ونَتَجَها أهلها، وهي منتوجة»[2]، ولكتابِه هذا "الإبل" رواية أخرى[3] هي التي أحرزها مجموعُ أبي منصور بن الجواليقي المحفوظ بخزانة الإسكوريال برقم ١٧٠٥، وفيه بخطه الجميل وضبطِه المُحَرَّر (ص٣٠/و):

(١) ونقل كلامه هذا بمعناه أبو الحسن الأخفش في حواشيه على نوادر أبي زيد، ففيها عنه: «قال الأصمعي: ولا يُخبَرُ عنها بفعل البتة إلا أن تضع هي وحدها فتعاني ذلك من نفسها فيقال خلت فأنتجت، قال: وإلا فالمسموع نُتِجَت الناقةُ ونَتَجَها أهلُها»، وقوله: "فأنتجت" كذا في المطبوعة وهو تصحيف ظاهر، صوابه: "فآنتَتَجَت"، وكأن أبا هلال العسكري نقل كلام الأصمعي هذا بعينِه إلا قليلا، ولفظه: «فإذا تباعدت فألقت ولدها وليس عندها أحد قيل: أَنْتَجَتْ، فلا يجيء لها الفعل في شيء من النتاج إلا في هذا الموضع»، وقوله: "أنتجت" كذا في المطبوعة وهو تصحيف ظاهر كسابقه، صوابه: "آنتَتَجَت"، وإضافته: "لها" في الكلام هنا أوضح وأحسن، أي لا يُسنَدُ الفعلُ إلى الناقة في شيء من النتاج إلا في قولهم: آنتَتَجَتِ الناقةُ، إذا ولدت في خلاء وليس عندها أحد، انظر: كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري (ص٥٤٠)، وكتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري (ص٣٥٠).

(٢) انظر: كتاب الإبل للأصمعي (ص٥١).

(٣) قال الدكتور حاتم عنها: «وقد قرأ هذه المخطوطة الجواليقي موهوب بن أحمد المتوفى سنة ٥٤٠هـ، وهذه النسخة متصلة الرواية عن المؤلف، إلا أنها نسخة مختصرة، وترتيبها يختلف تمام الاختلاف عن النسخة الأولى، ولهذا صعُبَ علينا متابعة هذا الاختلاف، وأفدنا منها في مواضع سقطت من الأصل بسبب انتقال النظر، وهذا ما دفع هفنر إلى نشره مستقلا ملحقا بنص المخطوطة الأولى»، انظر: كتاب الإبل للأصمعي (ص٣٤)، وقوله: «وقد قرأ هذه المخطوطة الجواليقي» يُوهمُ أنها ليست بخطه، وليس ذلك بصحيح، بل هي بخطه وبروايته.

وقال مثل هذا أبو محمد اليزيدي[1]، وأبو زيد الأنصاري أو ابن السِّكِّيت[2]، وقاله المرزوقي وأفاد أنه يقال: آسْتَنْتَجَت وآنْتَتَجَتْ[3]، فحاصلُ هذا كله أن الظاهرَ أن النص هنا مصحف، وأن صوابَه: (وآنْتَتَجَت تَنْتَتِجُ إذا وَضَعَتْ غير محضورة).

- ص٣٦١: (وإذا أردت النسبة قلتَ: مِتْآمٌ، والولد توأم) كذا في المطبوع، وأُسْقِطَت من نص الأصل كلمة من غير بيان لذلك، وهذه صورته:

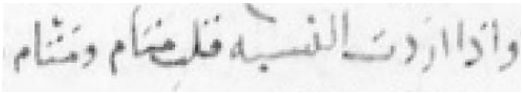

والظاهر أن الصواب تركها، وصحة القراءة: (وإذا أردت النسبة قلت: مُتْئِمٌ ومِتْآمٌ)، فكلاهما نسبة، وفرق ما بينهما أن مِتْآم للتكثير.

- ص٣٦١: (وإنما يعني الشر الذي يُقدَّمُ قبل الصلح، والشر الذي يجدُّ وهو أن لا يُتمُّوا الصلح) كذا في المطبوع، وفيه تصحيف وتحريف، وهذه صورة ما في الأصل:

---

(١) نقله أبو جعفر اللَّبْلي عن نوادره قال: «وآنتَتَجَت آنتِتَاجًا إذا وَضَعَتْ ولا أحد عندها، عن اليزيدي في نوادره»، انظر: تحفة المجد الصريح (ص٣٢٦).

(٢) ففي لسان العرب (٣: ١٩٦): «أبو زيد: أَنْتَجَتِ الفَرسُ فهي نَتوج ومُنتِج إذا دنا وِلادُها وعَظُم بطنُها، وقال: يَعقوبُ إذا ظَهَرَ حَملُها، قال: وكذلك الناقة ولا يقال مُنتِج، قال: وإذا ولدت الناقةُ من تلقاء نفسها ولم يَلِ نِتاجَها [أحد] قيل: قد إنْتَتَجَت» انتهى منه، فالظاهر أن الكلام كله لأبي زيد، وجعله الزبيدي لابن السكيت وهو محتمل أيضا، ولفظ: أحد ليس في مطبوعة لسان العرب، والسياق يقتضيه، وهو في تاج العروس (٦: ٢٣٢).

(٣) قال: «ويقال: اسْتَنْتَجَت وانْتَتَجَتْ: إذا خرجت وحدها إلى موضع فوضعت ولدها»، انظر: شرح فصيح ثعلب للمرزوقي (ص٥٢).

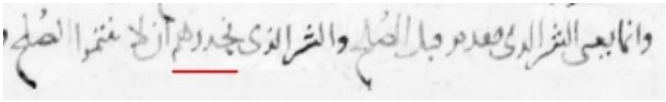

وصحة قراءته: (وإنما يعني الشر الذي **تَقَدَّمَ** قبل الصلح، والشرَّ الذي **يُحَذِّرُهُم**: أن لا يُتمُّوا الصلح).

- ص٣٦٢: (قال أبو سعيد: يقول: إن **تُنتَجْ الحربُ تُنجِبْ** لكم رجال شؤم) كذا في المطبوع، وفيه تغيير لما في الأصل وحذف منه بلا بيان ولا تنبيه، وهذه صورة ما في الأصل:

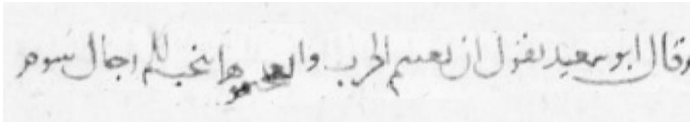

وإنما صحة قراءته: (قال أبو سعيد: يقول: إن **بَعَثتُم الحربَ وألقحتموها تُنجِبْ** لكم رجال شؤم)، على أني في غاية الارتياب من قوله: (**تُنجِبْ**) ولا أُراه إلا من معهود إفساد الناسخ، وينبغي أن يكون صوابه: (**تُنتَجْ**)، لأن الإنجاب بمعنى الولادة طارئ غيرُ معروف لغة، ويبعُد جدًّا أن يكون جرى على لسان أبي سعيد، فإنهم يومئذ لا يعرفون الإنجاب إلا بمعنى ولادة النجيب، وهذا لا يصلح في هذا السياق.

- ص٣٦٣: (ثم قال: وهذه غَلّة غير غَلّة القرى) كذا في المطبوع، وقد أُسْقِطَ من نص الأصل هنا ثلاث كلمات، من غير بيان ولا تنبيه، وهذه صورة ذلك:

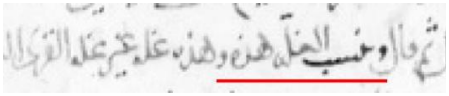

وفيه تصحيف من الناسخ، ويُشبه أن تكون صحة قراءته: (ثم قال: [وبِيسَتِ **الغَلّةُ هذه**]، وهذه غَلّة غير غَلّة القرى).

- ص٣٦٣: (ما يُظاهر به على التمر من الجلال، وأهلُ النخل يجعلون الجُلة) كذا في المطبوع، وقد أُسْقِطَت من نص الأصل كلمة، من غير تنبيه لذلك، وهذه صورة ذلك:

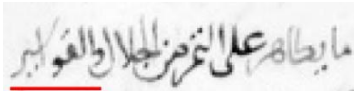

وهي مقروءة واضحة: (**والقَوَاسِير**)، والجادة: (**والقَوَاسِر**) جمع قَوْسَرَة، «والقَوْسَرَة والقَوْسَرَّة كلتاهما لغة في القَوْصَرَة والقَوْصَرَّة»[(١)]، «والقَوْصَرَّة وعاء من قَصَب يُكنَزُ فيه التَّمْر، وربما خُفِّفَت»[(٢)].

- ص٣٦٣: (بما لا **يُمَالِغُهُم**) كذا في المطبوع، وصوابه: (بما لا **يُمَالِهِم**) وهو الذي في الأصل:

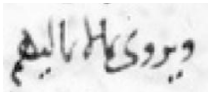

أما على المثبت في المطبوع فبالرواية الأخرى: (بما **لَمْ يُمَالِغْهُم**)[(٣)].

- ص٣٦٤: (أقتل هذا القاتل، وإذا قتلته اتقينا أصحابه) كذا في المطبوع، وقد أُسْقِطَت من نص الأصل كلمة، من غير تنبيه لذلك، وهذه صورة ذلك:

---

(١) لسان العرب (٦: ٤٠٣).

(٢) شرح أدب الكاتب لابن الجواليقي (ص٢٨٦).

(٣) انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ص٢٧٥).

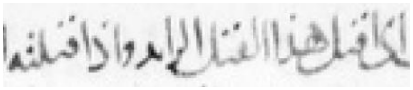

فلعل صحة قراءته: (أقتل هذا **القَتْلَ الزائد**)، كأن معناه الزائد بعد الصلح.

- ص٣٦٤ في آخر شرح البيت السادس والثلاثين في المطبوع أُسْقِطَت من نص الأصل ثلاث كلمات، من غير تنبيه لذلك، وهذه صورة ذلك:

فتمام هذا النص: (أي: أجعل هؤلاء بيني وبين عدوي [**فيكونون لي عونًا**]).

وفيه إشكال آخر وهو أن النص بطوله: (وقوله: مِن ورائي قال أبو سعيد: هذا هو حصين بن ضمضم، وقضاء حاجته أن يقتُل قاتلَ أخيه، ومن قال ملجِم أراد ألف فارس، ومن قال ملجَم فإنه يعني ألف فرس قد أُلْجِمَ وأُحضِرَ للنصرة، أي: أجعل هؤلاء بيني وبين عدوي [**فيكونون لي عونًا**]) كذا في الأصل، فبَقِيَ قولُه: (وقوله: مِن ورائي) مُعلَّقًا لم يُفسر، فكأنّ في النص سقطا.

- ص٣٦٦: (كما تقول: **عافَ يَعُوفُ، وعفا يعفو، واعتاف واعتفى، لغتان**) كذا في المطبوع، وهو فاسد لا معنى له، وهذه صورة ما في الأصل:

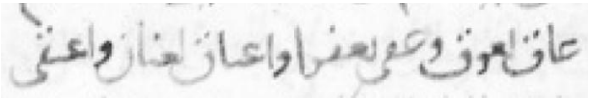

وفيه من إفساد الناسخ تصحيف وتحريف وتقديم وتاخير، فإخال صواب قراءته هكذا: (كما تقول: **عاقَ يَعُوقُ، وعَقَىٰ يَعْقِي، واعْتَاقَ واعْتَقَىٰ، لُغَات**)، قال أبو الفتح بن جني: «لا يعتقيه: لا يعوقه، يُقال: عاقه يعوقه عَوْقًا فهو عائق، واعتاقه اعتياقا فهو مُعتاق، ويُقلب فيقال: اعتقاه، ويُقلب عائق فيقال: عاقٍ»[1]، وقال: «يُقال: عاقَهُ يَعُوقُه عَوْقًا، فهو عائِقٌ وعاقٍ على القلب، واعتاقه اعتياقا، واعتقاه أيضا، وعَوّقَه وتعَوّقَه، كلُّه: إذا منعه وحبسه عن الشيء .. وقد قيل: عَقَاني عنك كذا بمعنى: عاقَني»[2].

- ص٣٦٦ قول أوس بن حجر الأُسَيْدِيّ: (**لعمرك إنا والأحاليفُ** حولنا) كذا في المطبوع، برفع الأحاليف، وصوابه: (**والأحاليفَ**) بالنصب عطفا على اسم إنّ.
- ص٣٦٦: (أي: سِلاحه لم يكهم، وهو ذهاب **حِدّتها، وهي** نصال سلاحه) كذا في المطبوع، وفيه تغيير لما في الأصل من غير تنبيه، وهذه صورة ذلك:

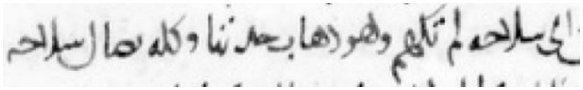

وقوله: (**حدتها**) كذا في الأصل، والظاهر أنه من خطاء الناسخ، فالأولى بالسياق التذكير: (**حِدّته**) أي السلاح، وصواب قراءة هكذا: (أي: سِلاحه لم يكهم، وهو ذهاب **حِدَّتِه، وكِلّةُ** نِصال سِلاحه)، «كَلَّ

(١) انظر: الفَسْر لابن جني (٢: ٣٢٨).

(٢) انظر: الفَسْر لابن جني (١: ٣٢٩-٣٣٠).

السيفُ والبصرُ وغيرُه من الشيء الحديدِ يَكِلُّ كَلًّا **وكِلَّةً** وكَلالة وكُلولة وكُلولًا»[1].

- ص٣٦٧: (يُقال: بدأ بالأمر يبدأ فهو بادئ. قال أبو سعيد: هذه صفة حصين) كذا في المطبوع، وأُسْقِطَت من نص الأصل ست كلمات، من غير إيضاح ولا تنبيه لذلك، وهذه صورة ذلك:

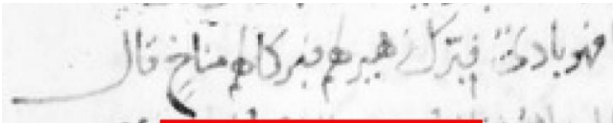

والنص عَسِر، غير أنه في ترك همز يُبدَأ في البيت، فأظن ظنا أن صواب قراءته: (**فَتَرَكَ زُهيرٌ الهَمْزَ كتَرْكِ هَمْزِ وَاجِئٍ**)، فباب الكلمتين واحد، وشاهداهما مشهوران، قال أبو الفتح بن جني: «وقد أبدلوا الهمزة ياء لغير علة إلا طلبا للتخفيف، وذلك قولهم في قَرَأتُ: قَرَيْتُ، وفي بَدَأتُ: بَدَيْتُ، وفي تَوَضّأتُ: تَوَضَّيْتُ، وعلى هذا قال زهير:

جريء متى يُظلَم يُعَاقب بظُلمِهِ سريعا وإلا يُبْدَ بالظلم يَظلِمِ

أراد: يُبدأ، فأبدَل الهمزة، وأخرج الكلمة إلى ذوات الياء، ومن أبيات الكتاب:

وكنتَ أذلَّ من وَتَدٍ بقاعٍ يُشَجِّج رأسه بالفِهرواجِي

يريد: واجئ، فأبدل الهمزة ياء، وأجراها مجرى الياء الأصلية»[2]، وكيف ما كان فلا ينبغي ترك التنبيه للإشكال فيه.

---

(١) لسان العرب (١٤: ١١١).

(٢) انظر: سر صناعة الإعراب لابن جني (٢: ٧٣٩).

- ص٣٦٧: (وإن **ظلَمَ** انتصر بعد ظلمه) صوابه: (**ظُلِمَ**).
- ص٣٦٧: (هذا مثل، و**مأخذها** من ورد الإبل)، كذا في الأصل وفي المطبوع، والجادة: (و**مأخذهُ**) أي المثل.
- ص٣٦٧: (إلى أقصى **الإظماء**) صوابه: (**الأَظْمَاء**) بفتح الهمزة، جمع ظِمْء، وهو معروف.
- ص٣٦٧: (فإذا أُورِدَت وشربت **أَصدَرت لِتُسرعَ**، ثم أُورِدَت لتَضَلَّعَ رِيًّا) كذا في الأصل وفي المطبوع، غير أن الضبط من المحقق لا الأصل، وفيه أمران:

- قوله: (**أَصدَرت**) بفتح الهمزة والدال غلط، صوابه: (**أُصْدِرَت**) أي أصدرها راعيها.
- وقوله: (**لِتُسرعَ**) مُشكل، وأظنه تحريفا، صوابه: (**لِتَرْعَىٰ**)، وذلك على سبيل التندية: «إذا أورد الرجل الإبلَ الماءَ حتى تشرب قليلا ثم يَجيء بها حتى تَرْعَىٰ ساعة ثم يردها إلى الماء فذلك التندية»[1].

- ص٣٦٧: (يعني الحرب التي **وقفوا** فيها) كذا في الأصل وفي المطبوع، ولعل صوابه: (**وَقَعُوا**).
- ص٣٦٧: (فجعلها كالمنهل **المُورَدِ** لهم، عالَجُوا ومَارَسُوا القتال والموت) كذا في المطبوع، والنص في الأصل مختلف شيئا، وقد أُسقِطَت منه كلمات بلا تبيين، وهذه صورته:

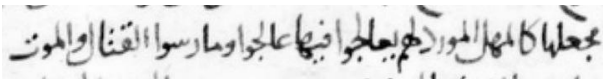

(١) لسان العرب (٢٠: ١٨٩-١٩٠).

فقوله (**المُورَد**) خطأ واضح، فالمنهل مورود والإبل مُورَدَة، فلعل صوابه: (فجعلها كالمنهل **المَوْرُودِ** لهم، [**عَالَجُوا فيها مَا**] عَالَجُوا، ومَارَسُوا القتال والموت).

- ص٣٦٨: (وإنما كان فساد هذا الصلح **بين** حصين بن ضمضم ويمينه تلك) كذا في الأصل وفي المطبوع، ولعل صوابه: (**مِنْ** حُصين) وبها ينتفي إشكال السياق.
- ص٣٦٨: (وطعامٌ وبيلٌ **ومُستَوخَمٍ** إذا كان غير مريء) صوابه: (**ومُستَوخَمٌ**) بالرفع، وبعده ببضع كلمات: (**أَتِيتُه**) صوابه: (**أَتَيْتُه**).
- ص٣٦٨: (وتَفَرَّى: **تَشقَّقَ** عليهم بالسلاح وبالدم) صوابه: (**تَشقَّقُ**) بالرفع، فالفعلان تَفَرَّىٰ وتشقق مُضارعان وليسا ماضيين، أصلهما الابتداء بتاءَين: تَتَفَرَّىٰ وتَتَشقق، فاقتُصِر فيهما على تاء واحدة[1].
- ص٣٦٨: (من وقت وردهم الذي وردوه قبلُ إلى الورد **الآخَر**) صوابه: (**الآخِر**) بكسر الخاء.
- ص٣٦٨: (تَفرَّى بالسلاح وبالدم، وتفرى أي: تفجرت بالدم، وتفجرت بالسلاح) هذا مخالف لما في الأصل، ولم ينبه لذلك، وهذه صورته:

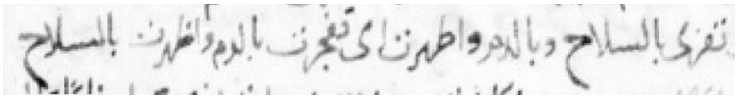

(١) قال الوزير عاصم: «وتَفَرَّىٰ هو فعل مستقبل، حُذفت منه تاء تفعل لاجتماع التاءين»، انظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية (٢: ٢٣).

- ص٣٦٩: (وهذا مثل بيت كُثَيِّرٍ:

وقد أصبَح الراضون إذ أنتمُ مَسوسُ[١] البلاد يشتكون وبالها)

كذا في المطبوع، وفيه مخالفة لرواية الأصل، وهي: (**فقد جَعَلُوا**[٢] الراضُون)، فتبديلُها تقليدا لمطبوعة الديوان أو غيره من دواوين اللغة إفسادٌ وخَطاء، وتضييعٌ لفائدة العلمِ بروايةٍ للبيت غير رواية الديوان، وهذه صورة ما في الأصل:

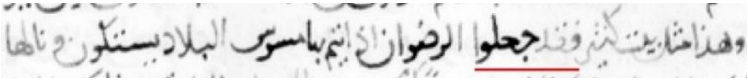

- ص٣٦٩ جاء في شرح بيت كثير: (يقول: كانت البلاد طيبة بك، وكانت مسوسة بك سكانها، والمسوس: المحفوظ، فلما ارتحلت عنها بكت على أهلها، وهو الوبال)، يحسن التعليق في الحاشية بأن هذا قول في تفسير هذا البيت على أنه في مدح عبد الملك بن مروان، والقولُ الآخر هو أنه بيت غزل، والمسوس فيه الماء الناقع للغلة، وهذا القول أسعد بالقبول[٣].

- ص٣٦٩: (ويقال **للعَمْر الذي** إذا كان في موضع اليمين) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو تحريف، صوابه: (ويقال: **العَمْرُ الدِّينُ**، إذا

---

(١) الجادة رفع مسوسُ، وقيل بالنصب، وجوّد إحسان عباس بيان ذلك، انظر: ديوان كثير عزة من جَمْعِه وشَرْحِه (ص٧٥، الحاشية ٤).

(٢) كذا على لغة "يتعاقبون فيكم ملائكة"، ولا شك أنها ليست لغة قوم كثير، وقد تكون من غلط النساخ، وأصلها: «**فقد جعل** الراضون» على الجادة، لكن لا مندوحة عن ترك ما في الأصل على حاله ما دام جائيا على وجه صحيح، وللمحقق بعدُ في الحاشية مُضطرب واسع للتعليق والاستشكال إن شاء.

(٣) انظر ما قبل الحاشية السابقة.

كان في موضع اليمين)، وقد سلف في الأصل نحو هذا التحريف عند قول طرفة: لعمرك إن الموت.. البيت، وفطن له المحقق ثَمّ.

- ص٣٦٩: (يقال: جَرّ فلان على فلان جريرة أي جنى عليهم جناية) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو تحريف، صوابه: (جنى عليهِ جناية) والسياق يوضح هذا، وللناسخ تَلَعُّبٌ بالكتابة غائظٌ، منه ما في هذه الصفحة بعد هذا الموضع بسطرين: (ولكن قتلهما غيرهم، وَوَدَوْهُمْ) والصواب: (وَوَدَوْهُمَا) أي القتيلَين.

- ص٣٦٩: (وقال: لأحفظ دم ابن نهيك وأحمله) كذا في المطبوع، وهو مغاير لما في الأصل، وإن لم يبعد منه، والنص في كليهما مُشكل غير مفهوم كأنه سقط منه شيء يُبِينُه، وهذه صورة ما في الأصل:

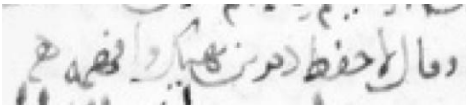

- ص٣٧٠: (ووهب: من بني عبس، ابن المخزم: **ابن** مرة) كذا في المطبوع، وما في الأصل قريب منه، وإنما صواب ما في كليهما: (**مِن** مُرّة)، ففي شرح ثعلب لديوان زهير: «ووهب: من بني عبس، وابن المُحزَّم: من بني مرة»[1].

- ص٣٧٠: (يقول: هذه **الرياح لم تسأل** في دم نوفل في القوم) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو تحريف واضح، وإنما صوابه: (هذه

(١) انظر: شرح شعر زهير لثعلب (ص٣٢)، على أن الأعلم قال: «وابن نهيك ونوفل ووهب وابن المُحَرّم كلهم من عبس»، انظر: دواوين الشعراء الستة الجاهليين بشرح الأعلم (٢: ٢٨)، وكأن البغدادي نقله عنه، انظر: خزانة الأدب (٣: ١٩).

الرِّماح لم **تُشَارِكْ** في دم نوفل)، وهذا لفظ زهير نفسه، فالرماح المعني بها رماح ابني أبي حارثة الممدوحَين، التي سبق ذكرها في البيت السابق لهذا: "لعمرك ما جرّت عليهم رماحهم"، "ولم تشارك" ماخوذ من قول زهير: "ولا شاركت في القوم في دم نوفل".

- ص٣٧٠: قول أبي سعيد: (وهؤلاء رجال قتلوا في حربهم) يحسُن التعليق عليه في الحاشية بقول شارحِ المعلقات في الشرح المنسوب إلى الكموني[1]: «وقال أبو عبيدة: هؤلاء الذين سَمّاهم قُتِلُوا في الصُّلْح، ولم يُقتَلُوا في الحرب».

- ص٣٧٠: (ولو قلت: يعقلونهم على المعنى لجاز، **وإنما** التوحيد **على** اللفظ) كذا في المطبوع، وفي الأصل هنا خطأ بحرف، فالنص فيه: (**وإنما** التوحيد **فعلى** اللفظ)، وهذه صورته:

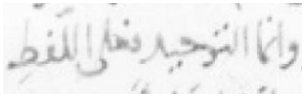

فصواب قراءته: (ولو قلت: "يعقلونهم" على المعنى لجاز، **وأَمَّا** التوحيد **فَعَلَى** اللفظ).

- ص٣٧٠: (**ويعقلون به** أي يَدُونه) كذا في الأصل وفي المطبوع، والظاهر أنه خطأ من الناسخ، صوابه: (**ويعقلونهُ** أي يَدُونه)، ويدل على هذا أن هذا هو لفظ زهير في البيت المشروح.

- ص٣٧٠: (ومن ذلك يقال: **خَشَبٌ** صَتِمٌ ومُصتّم) هذا تصحيف، صوابه: (**حَسَبٌ** صَتِمٌ ومُصتّم)، وهو الذي في الأصل:

---

(١) (ص١٨/و).

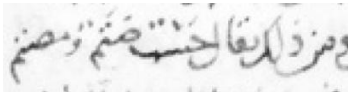

وما فوق السين ليس نقط الشين بل هو علامة إهمال.

- ص٣٧١: (قوله: طالعات بمَخرِم: أي بعدت من أيديهم، فصارت في الدية، **فيطلع المخارمُ** إلى هؤلاء) كذا في الأصل وفي المطبوع وزاد بالشكل وليس في الأصل، والمُثبتُ خطأ، وصوابه: (**فتَطْلُعُ المَخارِمَ** إلى هؤلاء) بالتاء في **تطلع** وهي للألوف، وبنصب **المخارمَ** على المفعولية، وهي مطابقة لعبارة شرح الديوان[١]، والمعنى تصير هذه الألوف في الدِّيَاتِ ويُذهَبُ بها إلى ذوي القتلى، فتَطلُعُ الطرُقَ إليهم، قال أبو الحجاج الأعلم: «طالعات بمَخْرِم أي طلعت الإبل عليهم من المخرِم وهو الثَّنِيّة في الجبل والطريقُ، والمعنى أنهم لم يشعروا حتى طلعت عليهم فجأة»[٢].

- ص٣٧١: (فأما قوله إلى قوم فإنه أراد أن يَبذُلَ هذا المالَ **لِقومٍ** يعني قوم حُصَين، لأن صلاحهم كان ببذله، وأما قوله إلى قوم فهم عبس، لأن الديات إنما أُدِّيَت إليهم) كذا في الأصل وفي المطبوع، ولعله خطأ، صوابه: (أن يَبذُلَ هذا المالَ **قومٌ** يعني قوم حُصَين).

- ص٣٧١: (أي: لا تزال **تَجُزْن** مخرما بعد مخرم حتى تَرِدَ عليهم)

---

(١) انظر: شرح شعر زهير لثعلب (ص٣٣).

(٢) انظر: دواوين الشعراء الستة الجاهليين بشرح الأعلم (٢: ٢٩)، ونحوه قول البغدادي: «طالعات بمَخْرِم هو بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة، وهو الثَّنِيّة في الجبل والطريقُ، يعني: أن إبل الدية تعلو في أطراف الجبل عند سَوْقِها إلى أولياء المقتولين»، انظر: خزانة الأدب (٣: ٤).

صوابه: (تَجُوزُ) وهو الذي في الأصل:

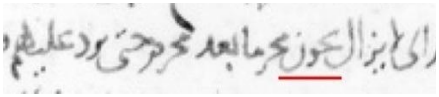

- ص٣٧١: (وفيه **إضمارٌ**، **ولا يَزالُ**: أي **لا يزال** طالعة في مَخرِم) هذا فاسد مؤوف، أُقحِمَت فيه واو: «[و]لا يزال» مع أنها ليست في الأصل، فأحالت المعنى، وإنما صواب قراءته: (وفيه **إضمارُ** "**لا تَزالُ**"، أي: **لا تَزالُ** طالعةً في مَخرِم)، أي أضمر زهير لفظ "لا تزال" لأن السياق يدل عليها، وهذا هو الذي في الأصل لولا تصحيف الناسخ: "يزال" بالياء، والصواب بلا ريب: "تزال" بالتاء وهي للألُوف، وهذه صورته:

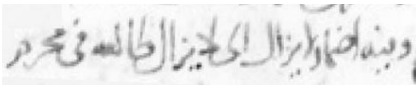

- ص٣٧١: (قال أبو سعيد: **مَخرِم** أي **يحكم مَخرِم** بينهم: أي **يَبُتُّ** ويصدع، ...قال: **يَخْرِمُ**: أي **يَحكُم مَخرِمٌ**: أي يقطع ويبُتُّ) هذا مُصحّفٌ فيما أُرى، مع تغيير كلمة في الأصل هي (**يَبُتُّ**) الأولى، فصوابها كما في الأصل: (**يُبِينُ**) من الإبانة وهي القطع والبَتُّ، وهذه صورة هذا الموضع في الأصل:

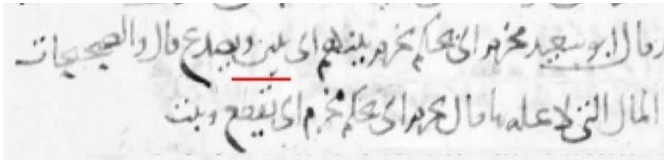

والذي أرى أن صواب قراءته: (قال أبو سعيد: **مِخْرَم** أي **بِحُكْمٍ يَخْرِمُ** بينهم: أي **يُبِينُ** ويصدع، ...قال: **مِخْرَمٌ**: أي **بِحُكْمٍ مِخْرَمٍ**: أي

يَقْطَعُ ويَبُتُّ)، فكأنها على هذا رواية اختصّ بها أبو سعيد.

- ص٣٧١: (المَخرِم: الطريق التي يطلعونها فيه إلى من **يُؤَدِّيها**) هذا تحريف يقلب المعنى، وهذه صورة ما في الأصل:

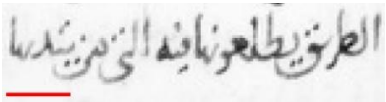

فصحة قراءته: (إلى من **يَتَّدِيهَا**)، والمُتَّدِي هو الآخذ للديَة، «وَدَيْتَ القتيلَ: أدَّيْتَ دِيَتَه، واتَّدَىٰ وَلِيّ القتيل: أَخَذَ الدِّيَة، يقال: اتَّدَىٰ فلانٌ ولم يَثْأَر، وقالت أُخْتُ عَمْرِو:

فـإن أنـتُمُ لَـم تَثْـأَرُوا وَ اتَّـدَيْتُمُ فَمَشُّـوا بآذان النَّعَامِ المُصَلَّمِ»[1]

- ص٣٧٢: (فقال: **القَومُ** غرامة) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو خطأ واضح، صوابه: (**لِقَوْمٍ** غَرَامةً).
- ص٣٧٢: (ثم قال: **لحَيّ حلالٍ**) هنا مخالفة لما في الأصل بلا تنبيه، وهذه صورة ذلك:

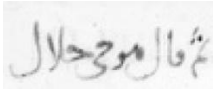

فصحة قراءته: (ثم قال: [**هُو**] **حَيٌّ حِلالٌ**).

- ص٣٧٢: (مائتا بيت ومائة بيت **يكون** في مكان واحد) كذا في المطبوع، وليس في الأصل نقط، فجادة الصواب: (**تَكُون**) بالتاء.
- ص٣٧٢: (وهم عبس، وإنما أراد أن يُكَثِّرَهُم **لِكثرةِ العقلِ**،

(١) أساس البلاغة لأبي القاسم الزمخشري (٢: ٤٩٨).

وليس بشيء، ولكنه وصفهم بما فيهم) هذا مخالف لما في الأصل بلا تنبيه، وهذه صورة ذلك:

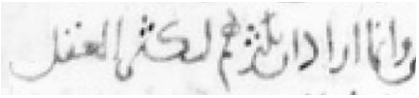

فصواب قراءته: (يُكَثِّرَهُم **لِيَكثُرَ العقلُ**)، وهنا أمر لم ينبه له المحقق، وهو أن السياق دَلَّ على أن جملة: (وليس بشيء، ولكنه وصفهم بما فيهم) تعقُّبٌ ردّ به رادٌّ على صاحب الجملة الأولى: (وإنما أراد أن يُكَثِّرَهُم لِيَكثُرَ العقلُ)، فكأنه كان في حاشية فأقحم في المتن، أو كان مُبَيِّنَ القائل ثم حُذفت تسميته لطبيعة الاختصار في هذا الكتاب، وإلا فإنه لا يظهر أن الكلام خارج من مخرج واحد لتناقضه.

- ص٣٧٢: (يقول: **يُنَجِّي** الناسَ أمرُهم إذا نزلت بهم قارعة) كذا في الأصل وفي المطبوع، ولعل صوابه: (**يُنَجِّي**).
- ص٣٧٢: (إحدى الليالي: أي **واحد** الليالي) كذا في الأصل وفي المطبوع، ولعل صوابه: (**واحدة**).
- ص٣٧٢: (إذا أمروا **نُفِّذَ** أمرُهم، وعُصِمَ من الهلكة إذا طرقت إحدى الليالي بأمر عظيم قاموا به فسدوه) فيه أمران:

- قوله: (**نُفِّذَ** أمرُهم) كذا في المطبوع، ولا ضبط في الأصل، ولا أقول هو خطأ، ولكن الأشبه بكلام أهل ذلك العصر أن يكون: (**نَفَذَ** أمرُهم)، على إسناد الفعل للأمر مباشرة، وقد قال في السطر الموالي لهذا الموضع: (**يَنفُذُ** أمرُهم).

- لعل صواب الضبط والترقيم: (إذا أمروا نَفَذَ أمرُهم وعَصَمَ من الهلكة، إذا طرقت إحدى الليالي بأمر عظيم قاموا به فسدوه) فعَصَمَ بفتح العين والصاد أي عَصَمَ الأمرُ من الهلكة، وجملة عَصَمَ من الهلكة متعلقة بما قبلها وليس بما بعدها.

- ص٣٧٣: (والجاني: الذي يجني عليهم من الشر، فيتكلفون تأدية الدية عنه، فيقول: إذا جنى جانيهم عقلوا عنه) كذا في المطبوع، وأُسْقِطَت من نص الأصل ثمان كلمات، من غير إيضاح ولا تنبيه لذلك، وهذه صورة ذلك:

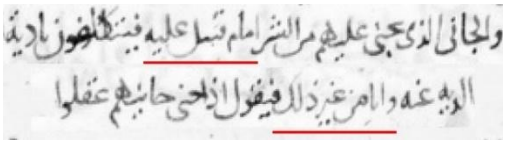

والجزء الأخير من النص المحذوف مقروء جليّ، والإشكال في الجزء الأول منه، ففيه تحريف ظاهر، وعلى ذلك فإخال صواب قراءته: (والجاني: الذي يجني عليهم من الشر، **[إمّا مِن قَتِيلٍ قَتَلَه]** فيتكلفون تأدية الدية عنه، **[وإما من غير ذلك]**، فيقول: إذا جنى جانيهم عقلوا عنه).

- ص٣٧٣ آخر كلمة في بيت طرماحٍ أثبتها المحقق هكذا:

إذا مـــا عظيمـــات الأمـــور (اسْـــتَجَلَّتِ)

تبعا للديوان المطبوع، والذي في الأصل: (**اسْتُحِلَّتِ**):

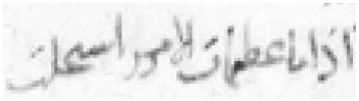

وهي حَسَنة صحيحة، بل لعلها أصحّ مما في الديوان المطبوع، لأن فيها زَيْدَ فائدة ليس في الرواية الأخرى، وذلك أن عظيمات الأمور جلائلُ كُبَرٌ على كل حال، فليس في قوله: استجلّت بالجيم فائدة، أما في رواية استُجِلّت ففيها زيادة أن الطامة كبرتْ وجَلّتْ حتى اسْتُجِلّت عظيمات الأمور، فإن قيل يحصل بالإهمال إيطاء ففي القصيدة إيطاء في غير بيت، ونحنُ لا نعلَم رواية الشارح من ديوان الطرماح فلعل القصيدة فيها سالمة من هذا الإيطاء، وكيف ما كان فينبغي أن تُثبت في المتن رواية الأصل كما هي، أو أن تُذكَرَ في الحاشية على الأقل!.

- ص٣٧٣: (لم يُسلموه إلى من **يطلبه**) الذي في الأصل: (**يَطْلُبُ**) وهي صحيحة:

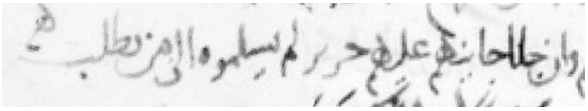

- ص٣٧٣: (عَلَيّ من هذا الأمر **تَكلُفَةٌ**) وفي ص٣٧٤: (واحدتها: **تَكلُفَةٌ**) كذا في المطبوع، وصوابه فيهما: (**تَكلِفَةٌ**) بكسر اللام[1].

- ص٣٧٣: (هذا على **الدعاء** الذي لا يراد **الوقوعَ**) كذا في المطبوع، وكلمة الدعاء تغيير لما في المخطوط من غير بيان ذلك، وهذه صورة ما في الأصل:

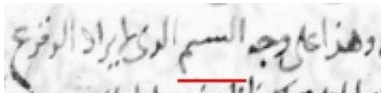

(١) تاج العروس (٢٤: ٣٣٢).

وإنما صواب قراءة الكلمة الأولى: (**الشتم**)، ويدل على هذا قولُ الميداني: «قال أبو الهيثم: "لا أم لك" عندنا في مذهبِ: ليس لك أم حرة، وهذا هو الشتم الصحيح، لأن بني الإماء عند العرب ليسوا بمحمودين ولا لاحِقِين بما يَلْحَقُ به غَيرُهم من أبناء الحرائر، فأما إذا قال: لا أبا لك فلم يَتْرُكْ له من الشتيمة شيئا، حُكِيَ[1] جميعُ هذا عن أبي سعيد الضرير»[2]، وكما قال في الشرح المنسوب إلى الكموني: «قولهم: لا أبا لك أي: ليس لك أب حُرٌّ، ولا أُمَّ لك: أي ليس لك أُمٌّ حُرّة، وهذا ذم عندهم، لأن أولاد الإماء مَعِيبُون»[3]، أما قوله: (لا يراد **الوقوعَ**) فلعله سقط منه حرف فيكون أصل صوابه: (لا يراد [**بِه**] **الوقوع**)، أو لعله: (لا يراد **وقوعُه**).

- ص٣٧٣: (الوقوع، قوله: لا أبا لك) كذا، والذي في الأصل: (الوقوع، [**وَ**]قوله: لا أبا لك).
- ص٣٧٤: (أو **عَشَى** يعشو عشوا) كذا، والجادة: (**عَشَا**) بالألف القائمة لأنه صرّح بالواو.
- ص٣٧٤: (وعلامة الجزم **بحذف** الرفع) الذي في الأصل:

---

(١) كذا في المطبوع، وينبغي أن يكون صوابه: (حَكَى)، أي يُخبِرُ الميداني أن أبا الهيثم حكاه عن صاحبِه أبي سعيد الضرير، وهو كذلك في نسخة ابن المستوفي من مجمع الأمثال بخطه (ص١٩٥/ظ) وهي النسخة ذات الرقم: ٦٥١١ بالمكتبة الوطنية الفرنسية، ومثله في (ص٣١٧/و) في نسخة أياصوفيا ذات الرقم: ٤٢٤٧.

(٢) انظر: مجمع الأمثال (٣: ١٢٨١).

(٣) (١٨/ ظ)، ونحوه قول الزوزني: «لا أبا لك كلمة جافية لا يراد بها الجفاء، وإنما يراد بها التنبيه والإعلام»، انظر: شرح القصائد السبع (ص٢٦٨).

(**حذفُ**) بلا باء، وهو كقوله ص٣٧٥: «وعلامة جزمه طرحُ الضمة».

- ص٣٧٤: (ويُقال: هو أجهر **مِنَ الجَهْرِ**، وهو أعشى **من العشى**) هذا خطأ وتحريف، وإنما الصواب: (هو أجهر **بَيِّنُ الجَهَرِ**، وهو أعشى **بَيِّنُ** العشى) وهو الذي في الأصل:

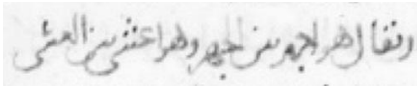

والجَهَر بالتحريك، جَهِرَ جَهَرًا من باب تَعِب[1].

- ص٣٧٥: (أما **العمى ففي العين**، وأما العمي فمن الغموض والجهالة) كذا في المطبوع، وهو تغيير لما في الأصل من غير بيان، والذي في الأصل شيء آخر هذه صورته:

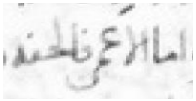

فأوله: (أما **الأعمى**)، فقد يكون: (أما **الأعمى فالجُنّةُ**) أو (أما **العَمَى فالجُنّةُ**) فإن صحّ فكأنه يعني مستور البصر. وكيف ما كان فلا ينبغي أن يترك التنبيه لتغييره.

- ص٣٧٥: (وما **أتى** به غدٌ فلا علم لي به) كذا والصواب: (وما **يأتي**).

- ص٣٧٦: (يقول: من **أخر ذخيرةً** عن سائله) هذا تصحيف، والذي في الأصل:

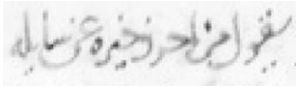

(١) كما في المصباح المنير (١: ١١٢).

وصحة قراءته: (من **أَحْرَزَ خَيْرَهُ**).

- ص٣٧٦: (أي من بين عرضه وبين متناوليه **بالنقص**) هذا تحريف مخالف لما في الأصل من غير بيان، وهذا هو:

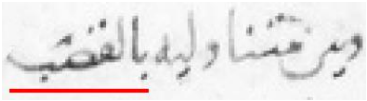

وصواب قراءته: (**بالقَصْبِ**)، وقد أعجم الناسخ الصاد ثم ضرب على الإعجام، «وقَصَبَه يَقْصِبُه قَصْبًا وقَصَّبه: شَتَمَه وعابه ووَقَعَ فيه، وأَقْصَبَهُ عِرْضَه: أَلْحَمَه إياه»[1].

- ص٣٧٦: (**انْتَدَتْ** عليه) هكذا قرأها المحقق وفسرها في الحاشية، وهذه صورة ما في الأصل:

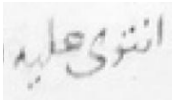

فإن صحّت قراءته فلَأن تكون: (**انْتُدِيَ** عليه) أقرب.

- ص٣٧٦: (فمن **وَفَى** عرضَه بالمعروف) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو تصحيف واضح، صوابه: (**وَقَى**).

- ص٣٧٧: (ذادَه عنه يذوده ذودا إذا **رَفَعَه** عنه وطرده) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو تصحيف واضح، صوابه: (**دَفَعَه**) بالدال المهملة.

- ص٣٧٧: (تقول أوشك يُوشِكُ، ووَشُكَ **وَشْكًا وَوَشاكَةً**) الذي في الأصل:

---

(١) لسان العرب (٢: ١٥٢).

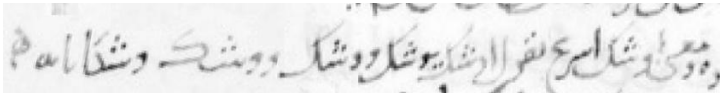

فلعل صواب قراءته: (**ووَشُكَ وَوَشَّكَ وُشْكانًا**)، ففي لسان العرب: «وَشُكَ وَشاكةً ووَشَّكَ وأَوشَكَ ... ووُشْكُ الفِراق ووِشْكُه ووَشْكانُه ووُشْكانُه»[1].

- ص٣٧٧: (وأسباب المنية: **طَرَفُها** ووجوه **أنيابها**) الذي في الأصل:

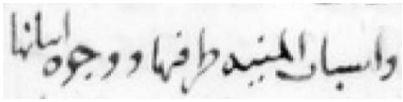

وعندي أن ما في المطبوع مُصَحّفٌ، صواب قراءته: (وأسبابُ المنية: **طُرقُها** ووجوهُ **إتْيَانِهَا**).

- ص٣٧٧: (يقول: المنية لا **تترك** ذا روح) هذا تغيير لما في الأصل من غير بيان، والذي في الأصل شيء آخر هذه صورته:

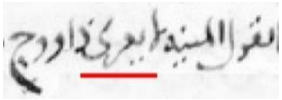

فإن لم يكن بُدٌّ من تبديله فليُتَرك تنبيهٌ لذلك في الحاشية.

- ص٣٧٨: (إذا سامك السلطان أمرا فتلكّأتَ عليه وتأبيت ركبك **ما تَنالُ**) كذا في المطبوع، وهو تصحيف لا معنى له، وصواب قراءته: (ركبك **بِمَا سَاءَكَ**)، وباء "**بِمَا**" وعلامة كاف "**سَاءَكَ**" جليّتان في الأصل، وهذه صورة ما فيه:

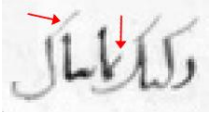

(١) لسان العرب (١٢: ٤٠٥).

- ص٣٧٨: (كان الفارس منهم إذا حمل على الرجل **الياسر** أشار عليه بزجه) كذا في الأصل وفي المطبوع، وهو تحريف ظاهر، ولا معنى للياسر هنا ولا مدخل للميسر، وإنما الصواب: (**لِيَأْسِرَهُ**)، والسياق مُجَلٍّ صحة هذا.

- ص٣٧٨: (و**السافل** ما دون السنان من القناة) كذا في المطبوع، وهو تغيير من المحقق لما في الأصل، ولم يوضح أنه غيّره ولا احتجّ لتغييره، مع ظهور ما في الأصل ووضوحه، وهذه صورته:

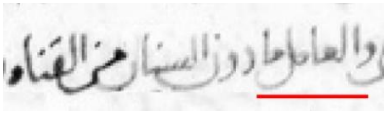

فصواب قراءته: (و**العَامِل** ما دون السنان من القناة)، والظاهر أن ما غيّر به خطأ، فالمذكور دون السنان، وذلك هو العامل، أما سافلة الرمح فدون الزج[1].

- ص٣٧٩: (وقوله: **مطمئنُّ** البر) الذي في الأصل: (وقوله: [**إلى**] **مطمئنِّ** البر)

- ص٣٧٩: (من عمل أعمال البر ولم يَشُب بها ريبة لم **يسأل** اطلاع الناس عليها) هذا تحريف، وهذه صورة ما في الأصل:

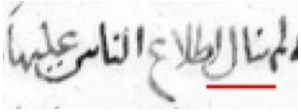

(١) انظر: أدب الكاتب لأبي محمد ابن قتيبة (ص١٨٤).

وصواب قراءته: (لم **يُبَالِ** اطّلاع الناس).

- ص٣٧٩: (**وأفضى القلبُ** إلى البر: أن يعتقده ويُحسن نيته) هذا تحريف، وهذه صورة ما في الأصل:

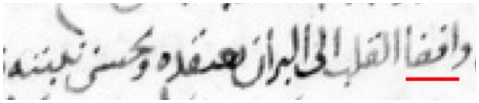

وصواب قراءته: (**وإفضَاءُ القلبِ** إلى البر).

- ص٣٨٠: (فيقول: **متى** يكرم نفسه أوشك أن **يكرم**) هذا تغيير لنص الأصل بلا دليل ولا حجة ومن غير بيان، وهذه صورة ما في الأصل:

وقراءته: (فيقول: **مَن** يكرم نفسه أوشك أن **يُهانَ**)، فغاية ما فيه أنه سقطت منه «**لا**»، فصحة قراءته: (فيقول: **مَنْ [لا]** يُكَرِّمْ نفسَه أَوْشَكَ أن **يُهانَ**)، وهذا بيانٌ لقول زهير في البيت المشروح: ومن لا يُكَرِّمْ نفسه لا يُكَرِّمِ.

ثَقَافَةَ المَحَدِّثِين الوَرَّاقِين:

الوَرَّاقُون المَحَدِّثُون فِي الكُتُبِ السِّتَّةِ نَمُوذَجًا

محمد مدحت سرايا المطوعي

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين.

وبعد:

قال الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى-: "اعلموا -رحمكم الله- أن هذا العلم يَنِدُّ كما تَنِدُّ الإِبِلُ، فاجعلوا الكتب له حماةً، والأقلامَ عليه رعاة"(١).

وهذا يحتاجُ إلى وَرَّاقٍ حاذقٍ عالمٍ ذي ثقافة عالية، تشمل الجوانب العلمية والفنية، فالحاجة إلى مثله قائمة، إذ كان عددٌ من الشيوخ الكبار من المُحَدِّثين يرحل إليهم الطالبون، ويحرصون على الأخذ عنهم، فيكثر الجمعُ في مجالسهم جدًّا، حتى يصعب على الشيخ إسماعُ كل الحاضرين؛ فكان يلزم وجود وَرَّاقٍ حاذقٍ يضبط مرويات الشيخ، ولا يوجد أفضل من وَرّاقي أهل الحديث؛ فهم على قدرٍ عالٍ من الأمانة، والضبط.

---

(١) ينظر: (تاريخ دمشق) (٥١/٤١٠).

مشكلة الدراسة:

على الرغم من الصحوة الثورية المعرفية لعلم الكودكولوجيا وما تفرع منها: كالوِرَاقة وما يدور حولها، وعلى الرغم من عقد المؤتمرات، والحلقات، والمحاضرات، والسيل من المؤلفات، والمقالات، فإنها لم تخص ثقافة المحدثين من الورَّاقِين بالتصنيف، وظل الشكل العام للورَّاقِ في أذهان الدارسين، هو: الناسخ البليد! الذي ليس لديه أدنى ثقافة.

أهداف الدراسة:

تكمن أهداف الدراسة في الآتي:

- أهمية التراث الإسلامي المخطوط، والحفاظ على هوية الأمة الإسلامية.
- لزوم دراسة وعاء المخطوط من بداية تصنيعه إلى خروجه في كتاب تستفيد منه الأمة كلها.
- أهمية الوِراقة في حفظ التراث الإسلامي.
- دور الورَّاقين في نقل التراث الإسلامي للأمة بكل أمانة وضبط.
- معرفة ثقافات المحدثين الوراقين وتأثيرها على التراث الإسلامي.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهجين الآتيين:

١. المنهج الاستقرائي: يقوم الباحث فيه بتتبع سِيَر الوراقين المحدثين في كتب التراجم والرجال، ثم معرفة روايتهم في الكتب

الستة.

٢. المنهج الاستنباطي (الاستدلالي): اعتمد عليه الباحث في استخراج الفوائد والنتائج المستفادة حتى يتم معرفتها ودراستها.

٣. الاعتماد على رموز الإمام المزي في كتابه (تهذيب الكمال): خ = البخاري، خت = البخاري تعليقًا، م= مسلم، د= أبو داود، ت= الترمذي، س= النسائي، ق= ابن ماجة.

وقمت بعزو أرقام أحاديث الوراقين المحدِّثين أمام كل كتاب من الكتب الستة، مثل:

- اسم شيخ الوراق: عَمْرو بن شعيب.
- مكانه في الكتب الستة (د س ق).
- أرقام الأحاديث بترتيب الكتب المذكورة عند المزي، (د)ح رقم (٢١٩٠)، (س)ح (ق) رقم (٦١٦١-٧٠١٧-٨٩٥١-١١٦٨٧).

الدراسات السابقة:

من أهمهما ثلاث دراسات:

١- كتاب "الوراقة والوراقون في الإسلام" لحبيب زيات، مجلة المشرق ١٩٤٧م، ذكر فيه مبحث "الوراقون المحدثون"، لكنه لم يذكر عنهم أيَّ شيء؛ تجنبًا للتطويل كما قال (ص:١٧): وبعد أن قضينا الأيام والليالي في جمع أسمائهم وأخبارهم، رأينا العدولَ عن نقلها تجنبًا للتطويل والملل.

٢- موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، لخير الله سعيد، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م.

ذكر في الجزء الخامس أعلام الوراقين البغداديين، ومن ضمنهم وراقو الحديث، لكن كما يظهر أنه اقتصر على أهل بغداد فقط، فترجم لهم ترجمة قصيرة، مع ذكر بعض مروياتهم معتمدًا في ذلك على تاريخ بغداد للخطيب.

٣- كتاب "الوراقة وأشهر أعلام الوراقين" لعلي إبراهيم نملة، مكتبة الملك فهد، ١٤١٥هـ.

المبحث الأول

التعريف بالوِرَاقَةِ والوَرّاقين

الوِراقةُ لغةً: هي صنعة الوَرَّاقِ، والوَرَّاقُ: هو الذي يُوَرِّق ويكتب في الورق، وهي جلود رِقَاق، فهو مُعاني كتَابَتِهَا، وصنعته الوِرَاقَةُ[(١)].

واصطلاحًا: عرف ابن خلدون الوِراقةُ بأنها: معاناة الكتب بالانتساخ والتّجليد[(٢)].

وذكر أبو حامد الفاسي أن: النساخة حرفة، وهي: الوِرَاقَةُ، وكل من جعل النسخ حرفة يحترفها، أو شغلاً يشتغل به لنفسه، فهو نساخ، ووَرَّاقُ أيضًا[(٣)].

---

(١) ينظر: المخصص (٨/٤)، وأساس البلاغة (٣٢٩/٢)، ولسان العرب (٣٧٥/١٠).

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون (٥٠٢/١).

(٣) ينظر: الوراقة وأشهر أعلام الوراقين (ص:٣٠).

ويعد تعريف ابن خلدون أشمل؛ لأنه زاد على حرفة النساخة، حرفة التجليد، التي تعد حرفة مستقلة عن حرفة النسخ.

والوِرَاقَةُ لها عدة معانٍ، منها:

أولاً: يُعَبرُ عنها بالنَّسْخِ: كما جاء في ترجمة أبي علي العكبري (٤٢٨هـ): «وكان يسترزق من الوِرَاقةِ -وهو النسخ-»[١].

ثانيًا: توصف بأنها صَنْعَةٌ (حِرْفَةٌ): ذُكِرَ في ترجمة محمد بن علي القاهري أنه: «كان خيّرًا، ديّنًا، ساكنًا، عارفًا بصناعة الوِرَاقَةِ»[٢].

وقيل أيضًا في ترجمة ابن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ): «وتوسعت مداركه وبعد نظره لما اشتغل في صنعة الوراقة والمتاجرة بالكتب، وهي الصنعة التي كانت مزدهرة في عصره»[٣].

وقيل في الشيخ الأديب إبراهيم بن المُبَلّط المِصْري: «وكان يتعاطى صناعة الوِرَاقَةِ ويصون بها ماء وجهه عن الإراقة»[٤].

قلت: وهذا يتوافق مع تعريف أبي حامد الفاسي، من كونها حرفة.

ثالثًا: تعد علمًا من ضمن العلوم: قيل في ترجمة عبد الرَّحْمن ابن أحمد بن المنذر (٥٦٨هـ): «وكان متفننًا عالما، فاضلا، غزير الفِقْه، والنحو، واللغة، والحديث، والأدب، وعلم الوِراقة»[٥].

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (٦٦٣/١٥).

(٢) ينظر: نيل الأمل (٢١٩/٧).

(٣) ينظر: شذرات الذهب (٦٣/١).

(٤) ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٦٩/١).

(٥) ينظر: بغية الوعاة (٧٧/٢).

يُعرَّف **الوَرَّاقُ** اصطلاحًا -عند السمعاني-: «الوَرَّاقُ -بفتح الواو وتشديد الراء وفي آخرها القاف-، هذا: اسم لمن يكتب المصاحف وكُتبِ الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق -وهو الكَاغِذ- ببغداد: الوَرَّاق أيضًا»[1].

ومن الشعر الذي قيل فِي الوراقة والوراقين، ما قاله[2] أبو محمد البكريُّ الشَّنتريُّ (٥١٧هـ):

أما الوِرَاقَة فهي أيكة حرفةٍ أَوْراقُها وَثِمارُها الحِرْمانُ

شبَّهتُ صاحبها بصاحب إبرةٍ يكسو العُراة وجِسْمُهُ عُريانُ

في ضوء ما سبق، يتبين لنا بأن الوراقة علم من العلوم، تشمل عدة مراحل (أقسام):

- النساخة، وما يتبعها من تصحيح وضبط وتزويق.
- التجليد.
- بيع الورق، وجميع مستلزمات الكتابة.
- بيع الكتب.

لكن يتبقى عامل مهم لم تتعرض له التعريفات السابقة، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية.

---

(١) ينظر: الأنساب للسمعاني (١٣/٣٠٠).

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (١١/٢٧٥).

المبحث الثاني

ثقافاتُ الوراقَةِ عند المُحَدِّثين، و أنواعها، وبعض النماذج

من الظلم الذي وقع على الوَرَّاقِ قولهم[١]: «إنه مجرد ناسِخ بليد! ليس عنده أي ثقافة، ولا يمتلك الحس العلمي، ولا الذوق الرفيع، ومهنته مهنة الجُهال العاطلين».

لكن انتصر للوراقة ابنُ خلدون وجعلها من الأعمال الشريفة.

قال -رحمه الله تعالى-: "وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة، فهي حافظة على الإنسان حاجته، ومقيدة لها عن النسيان، وَمُبَلِّغَة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب، وَمُخَلِّدَة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف، وَرَافِعَةٌ رَتَّبَ الوجود للمعاني"[٢].

إن للوِرَاقَة ثقافة -هي كل ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد والمجتمع ...[٣]- اشتهر بها عدد من شموس العلم، وأئمة الدين رجالًا ونساء[٤] على رأسهم المحدثين[٥].

---

(١) هذا قيل من بعض الباحثين فترة دراستي بمعهد المخطوطات.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون (٥٠٨/١)

(٣) ينظر: المجمع الفلسفي مجمع اللغة العربية (ص:٥٨).

(٤) من النساء: زوجة، وبنت الإمام ابن الحطيئة اللخمي، فكان يأخذ الكتاب، ويقسمه بينه وبينهما، فينسخ كل منهما طائفة من الكتاب، فلا يفرق بين الخطوط إلا في شيء نادر، وكان يعيش من الوِرَاقَة، [ومن ثقافات الوِرَاقَة عند هذا الإمام] قد كان حصل قحط بمصر، فبذل له غير واحد عطاء، فأبى وقنع. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٥/٢٠).

(٥) منهم: مطر الوراق، وغيره كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ظهرت هذه الثقافة في دكاكين الوِرَاقَة[1]، ملتقى العلماء المُحَدِّثين التي كانت تقوم مقام المدارس، والمكتبات، ودور النشر في عصرنا الحديث.

فالوَرَّاقُ المحدث ليس ناسخًا فقط، بل هو عالمٌ بما ينسخ، عنده مقدار الثقافة التي تجعله يسطر لنا التراث كما أراده مؤلفه، لذلك سنبين بعض تلك ثقافات الوراقين عند أهل الحديث.

أولاً: ثقافة الفن:

أن يكون عالمًا بمقاصد الفن الذي يكتبُ فيه، عالمًا بحركة التأليف، وطرق التصنيف.

١) قال محمد بن أبي حاتم الوراق: «قرأ علينا أبو عبد الله -البخاري- كتاب (الهبة)»، فقال: «ليس في هبة وكيع إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب عبد الله بن المبارك خمسة أو نحوه، وفي كتابي هذا خمس مائة».

٢) قال محمد بن يوسف الفربري: «سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق يقول[2] في الزيادات المذيلة على شمائل أبي عبد الله:....»[3].

٣) قال محمد بن أبي حاتم الوراق: «سمعته -يعني: البخاري-

---

(١) يذكر أن كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير قد أُلف في حانوت ياقوت الحموي، والجاحظ كان يكتري دكاكين الوراقين، ويثبت فيها للنظر. للمزيد ينظر: الفهرست (١٤٨،١٨٠)، محمد بن محمد السلال الكرخي، له حانوت عند باب النوبي.

(٢) قلت: يقصد أنه ألف كتابًا في ذلك.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤١٠-٤١٦/١٢)

يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك في كتاب (التاريخ)، ويقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا ذلك رواية لم نقُله من عند أنفسنا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ) -يعني: حديث عائشة-»[1].

٤) قال ابن عدي في (كامله)[2]: «أخبرنا عبد الحميد الوراق، قال: قاطعنا محمد بن مسلمة على أجزاء، فقرأنا عليه، وفيها حديث طويل، فقال: ما أحسن هذا! والله إنْ سمعت هذا الحديث قط إلا الساعة».

ثانيًا: ثقافة النقد:

وهي قدرته العلمية على نقد النصوص، ومعرفة الرجال.

١) قال أبو محمد بن أبي حاتم عن -يونس بن حبيب-: «كتبت عنه، وهو ثقة»[3].

٢) عن مطر الوراق، قال: «ما رأيت شاميًا أفضل من رجاء بن حيوة»[4].

٣) قال محمد بن أبي حاتم في عبدالرحمن بن عائذ: أحاديثه مراسيل[5].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٤١/١٢).
(٢) (٥٥٢/٧).
(٣) ينظر: الجرح والتعديل (٢٣٧/٩).
(٤) ينظر: تاريخ دمشق (١٠٤/١٨).
(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٨٨/٤).

٤) قال محمد بن علي الجوزجاني الوراق: «قلت لأحمد: عمرو بن شعيب سمع من أبيه شيئًا؟ قال: يقول: حدثني أبي. قلت: فأبوه سمع من عبدالله بن عمرو؟ قال: نعم، أراه قد سمع منه»[١].

٥) نسبوا راويًا إلى الكذب عند عبد الحميد الوراق، فقال: «هو أنعش من أن يكذب - يعني: ما يحسن»[٢].

٦) قال أبو عبد الله بن البيع: «كنت بالري وهم يقرؤون على عبدالرحمن بن أبي حاتم كتاب (الجرح والتعديل)، فقلت لابن عبدويه الوراق: هذه ضحكة، أراكم تقرؤون كتاب (تاريخ البخاري) على شيخكم على الوجه، وقد نسبتموه إلى أبي زرعة وأبي حاتم، فقال: يا أبا أحمد، اعلم: أن أبا زرعة وأبا حاتم لما حُمِلَ إليهما (تاريخ البخاري) قالا: هذا علمٌ لا يُستغنى عنه، ولا يحسن بنا أن نذكره عن غيرنا، فأقعدا عبد الرحمن، فسألهما عن رجل بعد رجل، وزادا فيه ونقصا»[٣].

٧) عن محمد بن علي الوراق قال: «سألت أحمد بن حنبل فقلت: أيما أحب إليك وكيع بن الجراح أو عبد الرحمن بن مهدي؟ قال: أما وكيع فصديقه حفص بن غياث النخعي، فلما ولي القضاء حفصٌ ما كلمه وكيع حتى مات، وأما عبد الرحمن بن

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦٧/٥).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٤٥٤/١٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٣٧٣/١٦).

مهدي، فصديقه معاذ بن معاذ الحنبري، فلما ولي معاذ القضاء ما زال عبد الرحمن صديقه حتى مات، وقد عرض على وكيع القضاء فامتنع»[1].

٨) قال محمد بن علي الوراق: «سألت أحمد بن حنبل عن الحسن ابن صالح: كيف حديثه؟ فقال: ثقة، وأخوه ثقة، ولكنه قدم موته[2]» [3].

٩) قال محمد بن علي الوراق: «قلت لأحمد بن حنبل: عمرو بن شعيب سمع من أبيه شيئًا؟ قال: يقول حدثني أبي، قلت: فأبوه سمع من عبدالله بن عمرو؟ قال: نعم، أراه قد سمع»[4].

١٠) قيل لعبد الوهاب الوراق: «إن تكلم أحد في أبي طالب، والمروذي، أما البُعْدُ منه أفضل؟ قال: نعم، من تكلم في أصحاب أحمد فاتهمه، ثم اتهمه، فإن له خبئَةَ سوء، وإنما يريد أحمد»[5].

ثالثًا: ثقافة نقد الكتب:

وتكون بانتقاء أفضل النسخ للكتاب الواحد، والتي تُحْكَمُ

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق (٨٢/٦٣).

(٢) لأنه كان يرى الخروج على الأمراء، قال الذهبي في (السير) (٣٧١/٧): ودفع الله عنه أن يؤخذ فيقتل بدينه وعبادته.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٦/٧).

(٤) ينظر: تاريخ دمشق (٨٧/٤٦).

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧٤/١٣). والمقصود أنه يريد أن يقع في أحمد بن حنبل من خلال الوقوع في تلاميذه.

بمعايير اختيار النسخ، مثل: نسخة المؤلف، ونسخة عالم من العلماء وغيرها.

قال أبو حفص بن الزيات: «حضرت عند الصوفي، وحضر إسماعيل الوراق مع ابنه، فسمع نسخة يحيى بن معين، فقام إسماعيل وأخذ بيد ابنه، وقال للجماعة: اشهدوا أن ابني قد سمع من هذا الشيخ نسخة يحيى بن معين»[١].

رابعًا: ثقافته الفقهية وتكوينه العلمي:

وهذا من خلال مؤلفات الوراق وفتاويه، وحضوره مجالس الحديث، ومذاكرته للعلم.

أ. التأليف:

١) ألف أبو جعفر محمد بن أبي حاتم البخاري، وراق أبي عبد الله كتاب (شمائل البخاري)، جمَعَه، وهو جزء ضخم[٢].

٢) الحسن بن حامد البغدادي الوراق إمام الحنبلية في زمانه، ومدرسهم، ومفتيهم، له المصنفات في العلوم المختلفات؛ له (الجامع) في المذهب في نحوٍ من أربع مئة جزء، وله (شرح الخرقي)، و(شرح أصول الدين وأصول الفقه)، وكتاب (الجامع) في عشرين مجلدًا في الاختلاف[٣].

٣) سعد بن علي بن قاسم، عُرفَ بدلَّال الكتب، صنف كتاب

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٨٩/١٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٣٩٢/١٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٢٠٣/١٧)، وطبقات الحنابلة (١٧١/٢).

(زينة الدهر، وعصرة أهل العصر) وذيل به على (دمية القصر) للباخرزي، وله كتاب (لمح الملح) يدل على سعة اطلاعه. وكتاب: (الإعجاز في معرفة الألغاز)، ألفه باسم مجاهد الدين قايماز الموصلي، وكتاب: (حاطب ليل)، ضمنه فوائد ونوادر وصحب العبّادي الواعظ، وكتب عنه شيئًا من محاسن كلامه في الوعظ، واختار منها ما استحسنه، وسماه: (النور البادي من كلام العبادي)[١].

٤) ألف الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق كتاب (التاريخ)[٢].

٥) ألف أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس الوراق (الأمالي)[٣].

ب. الفتاوي:

١) عن ابن أبي عَروبة: «كلمت مطرًا الوراق في بيع المصاحف، فقال: قد كان حَبْرَا الأمة، أو فقيها الأمة لا يريان به بأسًا: الحَسَن، وَالشَّعْبِيّ»[٤].

ج. طلب العلم:

١) قال الخليل بن عمر بن إبراهيم: «سمعت عمي عيسى يقول: ما رأيت مثل مطر الوراق في فقهه وزهده»[٥].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٨٠)، وبغية الطلب (٩/٤٢٥٢).

(٢) ينظر: تاريخ دمشق (٢/١٠٥).

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٣٧٧).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٤/٥٨٢).

(٥) ينظر: المصدر السابق (٥/٤٥٣).

٢) عن حمدان بن علي الوراق، قال: «ذهبنا إلى أحمد بن حنبل سنة ثلاث عشرة، فسألناه أن يحدثنا، فقال: تسمعون مني ومثل أبي عاصم في الحياة؟! اخرجوا إليه»[١].

٣) عن عبد الله بن محمد الوراق قال: «كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب. فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح»[٢].

د. المذاكرة:

عن نصر بن حماد الوراق يقول: «كنا قعودا على باب شعبة نتذاكر»[٣].

خامسًا: ثقافة الكتابة:

ذكرها أهل الحديث في كتبهم، ومنها:

وضع الدائرة بين الحديثين، والنقط والشكل، وكيفية الضرب، والتخريج على الحواشي، ونقل السماع من الكتب ومن الحفظ، والمعارضة، وإعجامُ المكتوبِ يمنع من استعجامِه، يُشْكَلُ ما يُشْكِلُ، بضبط الملتبس من أسماء الناس أكثر؛ فإنها لا تستدرك بالمعنى ولا يستدل عليها بما قبل وبعد، يستحب في الألفاظ المشكلة، أن يكرر ضبطها بأن يضبطها في متن الكتاب ثم يكتبها قبالة ذلك في الحاشية مفردة مضبوطة؛ فإن ذلك أبلغ في إبانتها وأبعد من التباسها...إلخ[٤].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٨٤/٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٣١٧/١١).

(٣) ينظر: تاريخ دمشق (٢١٦/١٩).

(٤) قلت: للمزيد ينظر: المحدث الفاصل (ص:٣٢)، ومعرفة أنواع علم الحديث (ص٣٦٩).

وعليه، فإن النسخة التي ينسخها المحدث تفوق غيرها من النُسخ، فثقافته جعلت للنسخ مرتبة عظيمة تركض الأيدي إليها، لذلك سنذكر تراجم الوراقين المحدثين في الكتب الستة في المبحث التالي.

المبحث الثالث

المُحدِّثون الوَرَّاقُون فِي الكتب الستة

مارسَ مهنة الوِرَاقَةَ إلى جانب الوَرَّاقين المحترفين، عددٌ وفير من العلماء والمُحَدَّثين[1]. وفيما يلي جدول لعدد منهم، تعقبه ترجمة منفردة لكل وراق:

عدد مرويات الوراقين في الكتب الستة

الوراق / الكتب الستة[2]	البخاري	مسلم	أبوداود	الترمذي	النسائي	ابن ماجه
مَطَرٌ الْوَرَّاقُ بن طَهْمَانَ ١٢٩هـ	٢ ع	٩	٨	٢	٨	٨
مُسَاوِرٌ الْوَرَّاقُ الْكُوفِيُّ ١٤١هـ	-	١	١	-	١	١
سَعِيد بن مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ ١٧٨هـ	-	-	-	٢	-	٢

(١) ينظر: الكتاب العربي المخطوط (١/١٦٥).

(٢) البخاري (خ)، ع (تعليقًا)، ومسلم (م)، أبوداود (د)، والترمذي (ت) والنسائي (س)، وابن ماجة (ق)، و(٤) السنن الأربعة.

الوراق / الكتب الستة[٢]	البخاري	مسلم	أبوداود	الترمذي	النسائي	ابن ماجه
إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبَانٍ الوَرَّاقُ الكُوْفِيُّ ٢١٦هـ	٦	-	-	١	-	-
عَبْد الرَّحْمَنِ بن الأسود الْوَرَّاقُ ٢٤١هـ	-	-	-	٥	٢	-
أَحْمَدُ بن أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ الْوَرَّاقُ (طبقة٨)	-	-	-	٣	٧	-
عَبْدُ الْوَهَّابِ بنُ عَبْدِ الحَكَمِ الْوَرَّاقُ ٢٥٠هـ	-	-	-	٥	٢	-
أَبُو سُلَيْمان البَصْرِيّ دَاوُد الْوَرَّاقُ (طبقة٦)	-	-	١		١	-

مَطَرٌ الْوَرَّاقُ بن طَهْمَانَ[1]

اسمه، وكنيته، ونسبته:

الإمام، الزاهد، الصادق، مَطَرُ بن طَهْمَانَ، أَبُو رَجَاءٍ، الوَرَّاقُ، الخُرَاسَانِيُّ، نزيل البصرة.

شيوخه:

أنس بن مالك، والحسن، وَابن بُرَيْدَةَ، وعكرمة، وَشَهْرُ بن حَوْشَبٍ، وبكر بن عبد الله، وطائفة.

تلاميذه:

شعبة، والحسين بن واقد، وإبراهيم بن طَهْمَانَ، وَحَمَّادُ بن سلمة، وَحَمَّادُ بن زيد، وعبد العزيز بن عبد الصمد العَمِّيّ، وَآخرون.

ثناء العلماء عليه:

قال الذهبي: كان من العلماء العاملين، وكان يكتب المصاحف، ويتقن ذلك.

قال الخليل بن عمر بن إبراهيم: سمعت عمي عيسى يقول: ما رأيت مثل مطر الوراق في فقهه وزهده.

وقال مالك بن دينار: رحم الله مطرًا الوراق، إني لأرجو له الجنة.

هو حسن الحديث، واحتج به مسلم.

أقواله وأعماله:

وعن مطر الوراق، قال: لما خلق الله الداء والدواء، جعل دواء

(١) تنظر ترجمته: (التاريخ الكبير). للبخاري (٢٣٥/٩)، وسير أعلام النبلاء (٤٥٢/٥).

المرة المشي، ودواء الدم الحجامة، ودواء البلغم الحمام.

وفاته: تُوُفِّيَ مَطَرٌ الوَرَّاقُ سنة تسع وعشرين ومئة.

أحاديثه في الكتب الستة:

ذكر المزي في (تهذيب الكمال) (٥٢/٢٨) مرويات مطر الوراق على النحو الآتي:

أخرج له البخاري تعليقًا في موضعين (٥٥/٣)، (١٥٩/٩).

روى مطرٌ عن:

١) بكر بن عَبد اللَّهِ المزني (س) ح رقم (٣١٩٥).

٢) والحسن البَصْرِيّ (م س) ح رقم (٢٤٨)، ح رقم (٣١٥٢).

٣) والحكم بن عتيبة (س) ح رقم (٤٨٨٧).

٤) وحميد بن هلال، وربيعة بن أَبي عَبْد الرَّحْمَنِ (ت) ح رقم (٨٤١).

٥) ورجاء بن حيوة (د ق) ح رقم (٢٣٠٨)، ح رقم (٢٠٨٣).

٦) وزهدم الجرمي (م) ح رقم (١٦٤٩).

٧) وشهر بن حوشب (س ق) ح رقم (٦٦٣٨)، ح رقم (٣٤٥٥).

٨) وعبد اللَّهِ بن بريدة (م) ح رقم (٨).

٩) وعطاء بن أَبي رباح (م س ق) ح رقم (١٥٣٦-٩٥١٧-١٦٤٩)، ح رقم (٤٥٩٠)، ح رقم (٢٤٥٤).

١٠) وعكرمة بن خالد المخزومي (س) ح رقم (٤٩٧٤)، (١١٦٩٢).

١١) وعكرمة مولى ابن عباس (د) ح رقم(٣٣٠٣).

١٢) وعَمْرو بن دِينَار (م) ح رقم (٩٩٧).

١٣) وعَمْرو بن شعيب (د س ق) ح رقم (٢١٩٠) ، ح رقم (٦١٦١-٧٠١٧-٨٩٥١-١١٦٨٧).

١٤) وقتادة بن دعامة (م د ق) ح رقم (٢٨٦٥) ، و ح رقم (٢٦٥٧)، وح رقم (٤١٧٩).

١٥) ونافع مولى ابن عُمَر (م ٤) ح رقم (١٤٠٩)، (د) ح رقم (١٨٤٢-٣٥٩٨)، و(ت) ح رقم (٣٤٧٠)، و(س) ح رقم (٣٥٠٦-٥٣٩١-٩٩١٤)، و(ق) ح رقم (٢٣٢٠-٢٤١٤).

١٦) وأبي الزبير المكي (م) ح رقم (١٢١٣).

١٧) وأبي شيخ الهنائي (س) ح رقم (٩٣٩١-٩٧٣١).

١٨) وأبي العالية البراء (م) ح رقم (٦٤٨).

مُسَاوِرٌ الْوَرَّاقُ الْكُوفِيُّ[١]

اسمه وكنيته ونسبه:

مُسَاوِرٌ الْوَرَّاقُ الْكُوفِيُّ، يقال: إنه أخو سيار أبي الحكم لأمه.

شيوخه:

جعفر بن عمرو بن حريث، وأبو حصين الأسدي، وشعيب بن يسار مولى ابن عباس رضي الله عنه، وسيار أبي الحكم.

تلاميذه:

ابن عيينة، وأبو أسامة حَمَّاد بن أسامة، وعُبَيد الله الأشجعي، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن زكريا بن أَبي زائدة، وطائفة.

---

(١) تنظر ترجمته: (تهذيب الكمال) (٤٢٥/٢٧)، (تاريخ الإسلام) (٩٧٩/٣).

ثناء العلماء عليه:

قال عبد الله بن حنبل، عَن أبيه: كان يقول الشعر. ما أرى بحديثه بأسا[١]. وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن مَعِين: ثقة[٢].

من أقواله:

وقال محمد بن يزيد بن معاوية، عن سفيان بن عُيَيْنَة: سمعتُ مساورًا الوراق يقول: إنما تطيب المجالس بخفة الجلساء.

وقال محمد بن عباد المكي عن سفيان بن عُيَيْنَة: سمعت مساورًا الوراق يقول: ما كنت أقول لرجل إني أحبك في الله ثم أمنعه شيئًا من الدنيا[٣].

زهده:

قال سفيان: وكان مساور يتزهد، وكان في لباسه شيء، ودعي إلى دعوة فرده الذين على الباب أن زَرُوهُ[٤]، فخرج فأتى منزله فلبس ثوبين نظيفين، ثم جاء فلم يُمْنَعْ، ودخل فلما رأوه أوسعوا له وأكرموه، فلما وضع الطعام أخذ بطرف ثيابه ثم قال: كُلْ. فقالوا: ما هذا؟! فأخبرهم. وأبى أن يأكل وترك عليهم[٥]، قال سفيان: أراه أراد أن يعظهم بذلك ألا يرد أحد يُزْدَرَى.

---

(١) ينظر: (العلل ومعرفة الرجال) (٣٦٥/١).

(٢) ينظر: (الجرح والتعديل) (٨/ترجمة١٦١٥).

(٣) ينظر: (تهذيب الكمال) (٤٢٦/٢٧).

(٤) زرى: الزَّرْيُ: أنْ يَزْرِيَ [فلانٌ] على صاحبه أمراً، إذا عابه وعَنَّفَهُ ليرجع فهو زارٍ عليه. ينظر: (العين) مادة زرى (٣٨١/٧).

(٥) ينظر: (المعرفة والتاريخ) (٦٨٧/٢).

أحاديثه في الكتب الستة:

ذكر المزي في (تهذيب الكمال) (٤٢٦/٢٧) مرويات مُساوِر على النحو الآتي:

رَوَى عَن: جعفر بن عَمْرو بن حريث، روى له الجماعة سوى البخاري حديثًا واحدا.

قال المزي: أخبرنا به أبو الفرج بن قدامة، وأبو الحسن بن الْبُخَارِيّ، وأبو الْغَنَائِمِ بن عَلانَ، وأحمدُ بن شَيْبَانَ، قَالُوا: أخبرنا حنبل، قال: أخبرنا ابن الْحُصَيْنِ، قال: أخبرنا ابن الْمُذْهِب، قال: أخبرنا القَطِيعِيّ، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا مُسَاوِرٌ الْوَرَّاقُ، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيثٍ، عَن أبيه أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- خَطَبَ النَّاسَ وعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ[1].

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤ / ١١٢) برقم: (١٣٥٩)، (٤ / ١١٢) برقم: (١٣٥٩) والنسائي في "المجتبى" (١ / ١٠٢٢) برقم: (٥٣٦١ / ١) والنسائي في "الكبرى" (٨/ ٤٥٠) برقم: (٩٦٧٤) وأبو داود في "سننه" (٤/ ٩٥) برقم: (٤٠٧٧)، وابن ماجه في "سننه" (٢/ ١٩٩) برقم: (١١٠٤)، (٤ / ٩٥) برقم: (٢٨٢١)، (٤ / ٥٩٠) برقم: (٣٥٨٤)، (٤ / ٥٩٠) برقم: (٣٥٨٧) والترمذي في "الشمائل" (١ / ٨٥) برقم: (١١٥)، (١/ ٨٥) برقم: (١١٦).

سَعِيد بن مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ[1]

اسمه وكنيته ونسبته:

سَعِيد بن مُحَمَّدٍ، أَبُو الْحَسَنِ، الوراق، الثقفي، الكوفي.

شيوخه:

بسام الصيرفي، وجويبر بن سعيد، وحلام بن صالح، وأبو الفيض سالم بن عبد الأعلى، وصالح بن حسان، ومحمد بن عَمْرو بن علقمة، ومصعب بن سليم، ومطرف.

تلاميذه:

إبراهيمُ بن إسحاق الطالقاني، وإبراهيمُ بن سعيد الجوهري، وأحمدُ بن حاتم، وأحمدُ بن حنبل.

أقوال العلماء فيه:

قال أبو بكر المروذي: سألته، يعني: أحمد بن حنبل، عن سعيد ابن محمد الوراق فليَّنه، وتكلَّم فيه بشيء[2].

قال الأثرم في موضع آخر: وسُئل أبو عبد الله عن سعيد الوراق، فقال: لم يكن بذاك[3].

قال الحاكم لما خرج حديثه في "مستدركه": وهو ثقة مأمون.

وقال ابن سعد: كتبوا عنه[4].

---

(١) تنظر ترجمته: تاريخ بغداد (١٠/١٠٢)، و(تهذيب الكمال) للمزي (١١/٤٨).

(٢) تنظر ترجمته: تاريخ بغداد (١٠/١٠٢).

(٣) تنظر ترجمته: المصدر السابق (١٠/١٠٢).

(٤) ينظر: إكمال تهذيب الكمال (٣/٣٣٨).

وفاته: كانت ببغداد[1].

أحاديثه في الكتب الستة:

ذكر المزي في (تهذيب الكمال) (٤٧/١١) مرويات سَعِيد بن مُحَمَّدٍ على النحو الآتي:

روى عن:

١) موسى الجهني (ق) ح رقم (٣٣٥١).

٢) صالح بن حسان (ت) ح رقم (١٧٨٠)، (ق) ح رقم (٤١٨٢).

٣) يحيى بن سعيد الأَنْصارِيّ (ت) ح رقم (١٩٦١).

إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبَانٍ الوَرَّاقُ الكُوْفِيُّ[2]

اسمه وكنيته ونسبه:

إِسْمَاعِيل بن أَبَانٍ، أَبُو إِسْحَاق، الوَرَّاقُ الأَزْديُّ، ويُقال: أَبُو إِبْرَاهِيم الكُوْفِيُّ.

شيوخه:

مِسْعَرُ بن كِدَامٍ، وعبدالرحمن بن الغَسِيْلِ، وَإِسْرَائِيْلُ بن يونس، وعبدالحميد بن بَهْرَامَ، وأبو المُحَيَّاةِ يحيي بن يَعْلَى التَّيْمِيُّ، ويحيي بن يَعْلَى الأَسْلَمِيُّ، وأبو الأَحْوَصِ سَلَّام بن سُلَيْمٍ، وَشَرِيْكُ بن عبدالله، وخلق سواهم.

تلاميذه:

البُخَارِيُّ، وأبو محمد الدَّارِمِيُّ، وأبو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ، وإسماعيل

(١) ينظر: تاريخ بغداد (١٠٢/١٠).

(٢) تنظر ترجمته: (تهذيب الكمال) (٥٢٩/١٦)، و(سير أعلام النبلاء) (٣٤٧/١٠).

سَمُّوْيَه، وإبراهيم بن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ، وأبو إسحاق الجَوْزَجَانِيُّ، وأبو عمرو بن أبي غَرَزَةَ الغِفَارِيُّ، والحسين بن الحكم الحِبَرِيُّ، ومحمد ابن سليمان البَاغَنْدِيُّ، وَبَشَرٌ كَثِيْرٌ.

ثناء العلماء عليه:

قال عبد اللَّه: سمعت أبي يقول: حدثنا إسماعيل بن أبان الوراق؛ ثقة[1].

وقَال البُخارِيُّ: صدوق[2].

قال الذهبي: وكان من أئمة الحديث[3].

وفاته: مات سنة ست عشرة ومئتين[4].

أحاديثه في الكتب الستة:

ذكر المزي في (تهذيب الكمال) (٤٧/١١) مرويات إسماعيل بن أبان على النحو الآتي:

روى عن:

١) أبي الأَحوص سلام بن سليم الحنفي (خ) ح رقم (٤٧١٨).

٢) شَرِيك بن عبد الله النَّخَعِيّ (ت) لم أجده، ولا يوجد عند الترمذي إلا يَحْيَى بن يَعْلَى ح رقم (١٠٧٧).

٣) عبد اللَّه بن المبارك (خ) ح رقم (٦٧٢٧).

٤) عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل (خ) ح رقم (٩٢٧-٥٧٠١).

---

(١) ينظر: العلل رواية عبد الله (١٧٨٠، ٥١٨٤).

(٢) ينظر: (التاريخ الكبير) (٣٤٧/١).

(٣) ينظر: (سير أعلام النبلاء) (٣٤٨/١٠).

(٤) ينظر: تهذيب الكمال) (١٠/٣).

٥) عيسى بن يونس (خ) ح رقم (٦٥٣١).
٦) أبي بَكْر بن عياش (خ) ح رقم (١٦٥٤).

عَبْد الرَّحْمَنِ بن الأسود بن المأمول القرشيُّ الْوَرَّاقُ[١]

اسمه وكنيته ونسبه:

عَبْد الرَّحْمَنِ بن الأسود بن المأمول، أَبُو عَمْرو، القرشي، الهاشميُّ، الوراقُ، البَصْرِيُّ.

شيوخه:

عُبَيدةُ بن حميد، وعمر بن أيوب الْمَوْصِلِيُّ، ومحمد بن ربيعة الكِلابيُّ، ومعمر بن سُلَيْمان الرَّقّي.

تلاميذه:

التِّرْمِذِيُّ، والنَّسَائيُّ، وأَبُو إسحاق إبراهيمُ بن محمد بن سعيد النيسابوريُّ الصَّيْدَلانِيُّ، وإبراهيم بن محمد الْمَرْوَزِيُّ، وإسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرَةَ، ومحمد بن جرير الطبريُّ.

وفاته: مات بعد الأربعين ومئتين.

أحاديثه في الكتب الستة:

ذكر المزي في (تهذيب الكمال) (٥٢٩/١٦) مرويات عَبْد الرَّحْمَنِ ابن الأسود على النحو الآتي:

روى عن:

١) عُبَيدة بن حميد (ت) ح رقم (٨٢٨).

---

(١) ينظر: (تهذيب الكمال) (٥٢٩/١٦).

٢) محمد بن ربيعة الكِلابيُّ (ت س) ح رقم (١٠٥٢-١٤٢٤-٢٣٥٧-٣٤٤٩)، و ح رقم (٥١٦-١٩٢٤).

أَحْمَدُ بن أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ الْوَرَّاقُ[١]

اسمه وكنيته ونسبه:

أَحْمَدُ بن أَبي عُبَيد اللَّهِ، واسمهُ بشر السَّلِيميُّ، أَبُو عَبْد اللَّهِ، الْوَرَّاق، الأزدي، البَصْرِيّ.

شيوخه:

أبو قُتَيبة سَلْم بن قُتَيبة الشَّعِيرِيُّ، وعبد الله بن داود الخُرَيْبِيُّ، وعبد الأعلى بن عبد الأَعلى السَّامِيُّ، وعمرُ بن علي المُقَدَّمِيُّ، وأبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ الزُّبَيْرِيُّ، ويزيد بن زُرَيْع.

تلاميذه:

التِّرْمِذِيُّ، والنَّسَائيُّ، والحسنُ بن عليل العنزيُّ، وعَبْدَانُ بن أحمد الأَهْوَازِيُّ، ويعقوب بن إبراهيم بن أَبي حسان الأَنْمَاطِيُّ.

ثناء العلماء عليه:

قال النَّسَائيُّ: ثقة.

وفاته: مات بعد الأربعين ومئتين.

أحاديثه في الكتب الستة:

ذكر المزي في (تهذيب الكمال) (٤٠٢/١) مرويات أَحْمَد بن أَبي عُبَيد اللَّهِ على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: (تهذيب الكمال) (٤٠٢/١)، وتاريخ الإسلام (١٠٧٦/٥).

روى عن:

١) أبي قُتَيبة سَلْم (ت س) ح رقم (٥٠-٣٤٤٢)، و ح رقم (٣٢٢٠).

٢) أبي أحمد محمد بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ الزُّبَيْرِيُّ (س) لم أجده، ووجدت عُمَر بن عليٍّ ح رقم (٨١٩٤-١٠٢٨٩).

٣) يزيد بن زريع (ت س) ح رقم (٢٢٨٠)، و ح رقم (٢١٨٧-٢١٨٩-١٠٦٨٠-١١١٧٨).

عَبْدُ الْوَهَّابِ بنُ عَبْدِ الحَكَمِ بن نافع الْوَرَّاقُ[١]

اسمه وكنيته ونسبه:

عَبْدُالوَهَّابِ بنُ عَبْدِالحَكَمِ بنِ نَافِعٍ، أَبُو الحَسَنِ، البَغْدَادِيُّ، الوَرَّاقُ.

شيوخه:

سمع: أبا ضَمْرَةَ اللَّيْثِيَّ، ويحيى بن سليم الطَّائِفِيَّ، وشعيب أبا صالح، ومعاذ بن معاذ، ويزيد بن هارون، وطبقتهم.

وكان صاحب أحمد بن حنبل وخاصته.

تلاميذه:

أبو داود، والتِّرْمِذِيُّ، والنَّسَائيُّ، وأحمد بن علي بن العلاء الجَوْزَجَانِيُّ، وأبو علي أحمد بن الهيثم بن إسماعيل الحطاب الشوكيُّ، وابنه الحسن بن عبد الوهاب الوراقُ، والحسين بن إسماعيل المَحَامِلِيُّ، وخطاب بن بشر، وأبو بكر عَبد الله بن أبي داود، وأبو بكر عَبد الله بن محمد بن أبي الدنيا.

---

(١) ينظر: (تهذيب الكمال) (٤٩٧/١٨)، وسير أعلام النبلاء (٣٢٣/١٢).

ثناء العلماء عليه:

قال المروذيُّ: «سمعت أحمدَ بن حنبل يقول: عبدُ الوهاب الوراقُ رجل صالح، مثله يوفق لإصابة الحق»[١].

قال أحمد بن حنبل: «عافاه الله، قلَّ أن ترى مثله»[٢].

قال النسائي: «ثقة»[٣].

قال الذهبي: «قلت: كان كبير الشأن، من خواص الإمام أحمد»[٤].

من أقواله:

قَال أبو مزاحم الخَاقَانِيُّ، عن الحسن بن عبد الوهاب الوراق: «ما رأيت أبي ضاحكا قط إلا تبسمًا. قال: وما رأيته ممازحًا قط، لقد رآني مرة وأنا أضحك مع أمي فجعل يقول لي: صاحب قرآن يضحك هذا الضحك! وإنما كنت مع أمي»[٥].

وفاته: مات في ذي القعدة، سنة إحدى وخمسين ومائتين[٦].

أحاديثه في الكتب الستة:

ذكر المزي في (تهذيب الكمال) (٤٩٧/١٨) مرويات عبد الوهاب ابن عبد الحكم على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: (طبقات الحنابلة) (٢١١/١).

(٢) ينظر: (تذكرة الحفاظ) (٥٢٦/٢).

(٣) ينظر: (تاريخ بغداد) (٧٤/٦).

(٤) ينظر: (سير أعلام النبلاء) (٣٢٤/١٢).

(٥) ينظر: (تاريخ بغداد) (٢٦/١١-٢٧).

(٦) ينظر: (سير أعلام النبلاء) (٣٢٤/١٢).

روى عن:

١) حجاج بن محمد المَصِّيْصِيّ (س) ح رقم (١٠١٥٧).

٢) معاذ بن معاذ العَنْبَرِيّ (ت س) ح رقم (٣٠٧٤)، و ح رقم (١٢٠٦-٩٩٩٠-١١٩٣٢).

٣) يحيى بن سَعِيد الأُمَوِيّ (ت) ح رقم (٣٩٠٨).

٤) يحيى بن سليم الطَّائِفِيّ (ت)، لم أجده.

٥) عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّادٍ (د ت) ح رقم (٤٦١)، وح رقم (٢٩١٦).

دَاوُد الْوَرَّاقُ[١]

اسمه وكنيته ونسبته:

داوُد الوراق، أبُو سُلَيْمان البَصْرِيّ.

شيوخه:

سعيدُ بن حكيم بن معاوية بن حَيْدَةَ القُشَيْرِيُّ، وسِمَاكُ بن حرب، وعبادُ بن راشد.

تلاميذه:

الحجاج بن فُرَافِصَةَ، وسفيان بن حسين، وسلام أبو المنذر القارئ وكناه[٢].

قال ابن حجر: «داود الوراق أبو سليمان البصري مقبول من

(١) تنظر ترجمته: (تهذيب الكمال) (٤٨/١١).

(٢) أي: لم يذكر اسمه في سنده، إنما ذكر كنيته.

السادسة، وقيل إنه داود بن أبي هند، ولم يصح ذلك»[1].

أحاديثه في الكتب الستة:

ذكر المزي في (تهذيب الكمال) (٤٧٢/٨) مرويات داود الوراق لموضع واحد:

١) سعيد بن حكيم بن معاوية بن حَيْدَةَ القُشَيْرِيُّ (دس) ح رقم (٢٠٤١)، و ح رقم (٩١٠٦).

(١) ينظر ترجمته: (التقريب) (ص: ٢٠٠).

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة: ثقافات الوراقين المحدثين ومعرفة بعضهم من خلال مروياتهم في الكتب الستة: (البخاري، ومسلم، وأبوداود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه).

وتوزعت على ثلاثة مباحث:

١- تعريف الوراقة والوراقين.

٢- ثقافات الوراقين من المحدِّثين.

٣- الوراقون المحدِّثون في الكتب الستة.

وقد توصلت الدراسة إلى ظهور حزمة من النتائج هي:

١) الوعي بأهمية الوراقة كونها علمًا من العلوم المهمة التى حافظت على تراث الأمة الإسلامية.

٢) بيان جملة من خصائص الوراق عمومًا، والمحدِّث خصوصًا.

٣) الوعي بخصوصيات الثقافات التى يتميز بها الوراقون المحدثون.

٤) الوعي بمعرفة جملة من الوراقين المحدثين في الكتب الستة.

وتوصي الدراسة بعمل دراسات وندوات عمل متنوعة حول ثقافة الوراقين، بناءً على أفكار تصلح أن تكون محاور للبحث العلمي، مثل: أعلام الوراقات في السنة النبوية - دور المرأة في الوراقة - الوراقون في ميزان الجرح والتعديل - سير أعلام الوراقين - معجم الوراقين، وغيرها من الدراسات.

وصل اللهم على محمد وآله وصحبه

قائمة المصادروالمراجع

الكتب الستة:

١. "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"=صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، مج٩، مجموعة من العلماء.

٢. "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" =صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي - القاهرة (وصَوّرتْها: دار إحياء التراث العربي - بيروت)، مج٥.

٣. "سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، أبو داود السِّجِسْتاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، مج٧، ١٤٣٠هـ.

٤. "جامع الترمذي"، محمد بن عيسى، الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، مج٦، ١٩٩٨م.

٥. "السنن الكبرى، أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، مج١٠، ١٤٢١هـ.

٦. "سنن ابن ماجة" محمد بن يزيد بن ماجة، أبو عبد الله القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمَّد

كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، مج٥، ١٤٣٠هـ.

كتب مصطلح الحديث:

١. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الحسن بن عبد الرحمن ابن خلاد الرامهرمزي، تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد، دار الذخائر، ط١، ٢٠١٦م.
٢. معرفة أنواع علوم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، مج١، ١٤٠٦هـ.

كتب الغريب والمعاجم:

١. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، مج٢، ١٤١٩هـ.
٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط٣، مج١٥، ١٤١٤هـ.
٣. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، مج٥، ١٤١٧هـ.

٤. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مج٨.

كتب التراجم والتاريخ:

١. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، علاء الدين مغلطاي ابن قليج الحنفي، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، مج٦، ٢٠١١م.

٢. الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، مج١، ١٣٨٢هـ.

٣. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، مج٢٤، ١٤١٨هـ.

٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، مج٢.

٥. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق:

الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، مج١٥، ٢٠٠٣م.
٦. تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، مج١٦، ١٤٢٢هـ.
٧. تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مج٨٠، ١٤١٥هـ.
٨. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد ابن صالح بن محمد الدباسي، الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط١، مج١٢، ١٤٤٠هـ.
٩. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، مج٤، ١٤١٩هـ.
١٠. تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط١، ١٤٠٥هـ.
١١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، مج٣٥، ١٤٠٠هـ.
١٢. الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد

الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٢٧١هـ.
١٣. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١٤. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، من منشورات إرسيكا، إستانبول – تركيا، مج٦، ٢٠١٠م.
١٥. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، مج٢٥، ١٤٠٥هـ.
١٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، مج١١، ١٤٠٦هـ.
١٧. طبقات الحنابلة، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (وصورتها دار المعرفة، بيروت)، مج٢.
١٨. العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، ط٢، مج٣، ١٤٢٢هـ.

١٩. الفهرست، محمد بن إسحاق بن محمد الوراق بن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ.
٢٠. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، مج١٠، ١٤١٧هـ.
٢١. الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م.
٢٢. المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد – بغداد، مج٣، ١٣٩٣هـ.
٢٣. نيل الأمل في ذيل الدول، عبد الباسط بن أبي الصفاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، مج ٩، ١٤٢٢هـ.
٢٤. المجمع الفلسفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

دراسة اللغة العربية بين موريسكيي أراغون بحسب: "مخطوطات ألموناثيد دي لا سييرا"

الكاتب: خيسوس ثانون - جامعة أليكانتي

ترجمَه عن الإسبانية: أكرم سعيد

مقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أعمال النحو الواردة في مخطوطات ألموناثيد دي لا سييرا التي سُمّيت "بمخطوطات المجلس"، وكل تلك المواد التي تكشف عن النظام المتبع لتعلّم اللغة العربية بين موريسكيي ألموناثيد دي لا سييرا أو على نطاق أوسع بين موريسكيي أراغون. ونحاول من خلال هذا التحليل استنباط الأجوبة حول وظيفتها وخصائصها ضمن السياق العام للأعمال المحفوظة باللغة العربية.

من المعروف أنّ الوضع اللغوي للمدجّنين والموريسكيين[1] لم يكن متجانسًا[2]، ولذلك إن كان أولئك الذين يعيشون في بلنسية

(١) المدجّنون هم المسلمون الذي عاشوا تحت الحكم المسيحي في إسبانيا وحافظوا على دينهم، في حين الموريسكيون هم المسلمون الذين بقوا بعد سقوط الحكم الإسلامي في الأندلس وأُجبروا على اعتناق الدين المسيحي (المترجم).

(٢) راجع ماريا خيسوس بيغيرا، في "مقدمة" كتاب "حكايات ورعة ودنيوية من مخطوط أوريا دي خالون بالألخميادو" لفيديريكو كوريّنتي كوردوبا، مؤسسة فرناندو الكاثوليكي، سرقسطة، ١٩٩٠م، صفحة ١٦-٢٢.

وغرناطة قد حافظوا بشكل عام على اللغة العربية المحكية والمكتوبة، فإنّ مدجّني وموريسكي قشتالة وأراغون سرعان ما فقدوا لهجتهم مع حفاظهم جزئيًّا على لغة حرفية استخدموها بشكل أساسي لأغراض دينية وقانونية. كما اعتمدوا في كتاباتهم الأدبية على اللغة القشتالية التي كانوا يكتبونها عادةً بأحرف عربية (سُمّيت بالألخميادو). تدخل في هذا السياق اللغوي المخطوطاتُ العربية ومخطوطات الألخميادو التي عُثر عليها في ألموناثيد دي لا سييرا عام ١٨٨٤م، واستحوذت عليها لاحقًا "مكتبة المجلس للتوسع في الدراسات"[١].

تستند أفكار هذه الدراسة واستنتاجاتها إلى فرضية أنّ مجمل مخطوطات المجلس تمثّل عيّنة عشوائية للمؤلفات التي كانت بحوزة المجتمع الموريسكي آنذاك في أراغون، وليس من الضروري -بحسب اعتقادي- تقديم الحجج ومناقشة هذه الفكرة الأساسية خلال الوضع

(١) سُلّمت لاحقًا إلى معهد الدراسات العربية في مدريد، الذي كان امتداداً للقسم العربي في مركز الدراسات التاريخية في مجلس المقاطعة للتوسع في الدراسات والأبحاث العلمية. وقد دُمج المعهد بعد الحرب الأهلية في المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الذي حلّ مكان "مجلس المقاطعة"، وسُمّي بمعهد ميغيل أسين، ويقوم بدوره في الوقت الحالي قسم الدراسات العربية والإسلامية في معهد علم اللغات التابع للمجلس الأعلى للأبحاث العلمية. ولهذا السبب سُمّيت المخطوطات التي عُثر عليها في ألموناثيد دي لا سييرا بشكل متعاقب –أو دونما تمييز- "بمخطوطات المجلس"، "مخطوطات معهد الدراسات العربية" أو "مخطوطات معهد ميغيل أسين". سنستخدم في هذا البحث التسمية الأولى مقتدين بالقائمة التي أعدّها خوليان ريبيرا وميغيل أسين ونقّذاها إلى جانب كل من ماكسيميليانو ألاركون وأمبروسيو ويثي ميراندا وكانديدو غونثالث (ومشاركة توماس نابارّو توماس). راجع "مخطوطات عربية وبالألخميادو من مكتبة المجلس"، مدريد ١٩١٢م.

الـراهن للأبحـاث حـول موريسـكيي أراغـون، ولكـن مـن الممكـن تقـديم الطرح الآتي:

- يتعلق الأمر بعيّنة لمعرفة نوع التخصّصات ومدى اهتمام أصحابها؛ نظرًا لوجود عدد كافٍ من الأعمال المحفوظة.
- تشكّل عيّنة عشوائية، حيث يُعد إخفاء الكتب والوثائق المكتوبة بالعربية أو بالألخميادو تجنبًا لإحراقها من قبل محاكم التفتيش، دون أي دليل على اختيار محتواها بشكل مسبق، حادثةً عشوائيةً أو غير منتظمة تمامًا كحادثة إتلاف أكثر من ثمانين مجلّداً، وإحراق عدد لا بأس به منها بالكامل من قبل فتية ألموناثيد الذين كانوا يلهون بتمزيق صفحاتها وإشعال النيران فيها(١).
- تمثّل عيّنة عشوائية للمؤلفات والمستندات التي كانت بحوزة المجتمع الموريسكي في أراغون، فتنوّعُ محتواها بدءًا من ثيولوجيا الغزالي وصولاً إلى التمائم الشعبية يثبت أنّ المخطوطات المخفية لا يمكن أن تنتمي لمالك واحد أو لعائلة واحدة.

يتيح لنا التحليل الكمّي للأعمال المخفية التي عُثر عليها في ألموناثيد معرفة مدى اهتمام المجتمع الموريسكي في تلك البلدة أو في

(١) فرانثيسكو كوديرا، "مستودع أحد الورّاقين الموريسكيين والذي اكتُشف في الموناثيد دي لا سيبرا"، نشرة المعهد الملكي للتاريخ، مدريد، ١٨٨٤م، "في المخطوطات العربية وبالألخميادو"، صفحة ٦.

مقاطعة أراغون بقواعد اللغة العربية، ومدى دراسة ونقل التخصّصات الإسلامية الأخرى، والعلاقة العددية بين الكتابات العربية والكتابات بالألخميادو[١]. ولهذا السبب اعتُمد عدد الأسطر المكتوبة في المخطوطات مقياسًا لذلك بالاستناد على ما ورد في القائمة التي أعدّها ريبيرا وأسين[٢]، مع تمييز النص العربي من النص بالألخميادو من جهة، والتخصّصات المختلفة التي تتضمّنها النصوص العربية من جهة أخرى.

- **نصوص عربية ونصوص بالألخميادو**

نستنتج من عملية الحساب التي أُجريت أنّ النصوص المكتوبة بالألخميادو تشكّل نسبة ٦٢,٤٪ من إجمالي مخطوطات المجلس، في حين تشكّل النصوص المكتوبة بالعربية نسبة ٣٧,٦٪ الباقية. وهذه النتيجة غير مفاجئة -بحسب اعتقادي- لأولئك الباحثين في أدب الألخميادو المطّلعين على القائمة والمتمرسين بدراسة مخطوطاته أو طبعاته. كما تجدر الإشارة إلى أنّ القسم الأكبر من المخطوطات العربية لم يشكّل بعدُ موضع دراسة إلى الآن.

- **توزّع النصوص العربية بحسب الموضوعات**

أجريتُ عملية حساب النصوص العربية، كما أشرتُ آنفًا،

(١) كانت فكرة هذا الإحصاء بناء على اقتراح من البروفيسورة ماريا خيسوس روبييرا خلال محاضرة تحضيرية للندوة الحالية في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة أليكانتي.

(٢) مخطوطات عربية وبالألخميادو.

بحسب الموضوع لاستشفاف مدى اهتمام موريسكي أراغون بالدراسات النحوية مقارنة بالتخصّصات الأخرى، وتوصّلت إلى النتائج الآتية:

يُعد الفقه بالدرجة الأولى أكثر التخصّصات تمثيلاً بنسبة ٣٣,٨٪ من إجمالي النصوص العربية. وتجدر الإشارة إلى أنّ الأعمال المتعلقة بالمذهب المالكي تشكّل ٧١,٦٪ من النصوص الفقهية، في حين بقية الأعمال عبارة عن "وثائق" بنسبة ١٢,١٪، "وعقود شروط" بنسبة ١١٪، و"مسائل متفرقة" بنسبة ٥,٣٪. ولذلك نلاحظ أنّ الأعمال الفقهية عند موريسكي ألموناثيد تتسم دون شك بطابع عملي.

تأتي النصوص القرآنية في المرتبة الثانية من بين أكثر التخصّصات تمثيلاً من الناحية الكمّية بنسبة ٢٠,٤٪ من إجمالي النصوص، وتشكّل السور نسبة ٧٣,١٪ من النصوص القرآنية، في حين تشكّل التفاسير نسبة ٢٦,٩٪.

وإن جمعنا علم النحو وعلم المعاجم في تخصّص واحد من الدراسات اللغوية فإنّه يشغل المرتبة الثالثة من حيث الانتشار، بنسبة ١٦,٦٪ من إجمالي النصوص، حيث تبدو نسبتا علم النحو وعلم المعاجم متقاربتين (٤٨,٧٪، و٥١,٣٪).

يمكن القول إنّ ٦٠,٨٪ من النصوص العربية المخفية في ألموناثيد دي لا سيرا تندرج في إحدى هذه التخصصات الثلاثة: الفقه، والقرآن وعلم اللغة، في حين كانت بقية التخصّصات، بترتيب تنازلي من ناحية التمثيل، على الشكل الآتي:

- الأدب بنسبة ١١,٨٪. وتجدر الإشارة هنا إلى أني اعتبرتُ كل نص سردي أدبًا، بالرغم من أنّ النوع الديني هو ما كان سائدًا[١].
- التصوّف بنسبة ٤,٤٪.
- الحديث بنسبة ٣,٨٪. وتشكّل مراجع الأحاديث نسبة ٧٩,٥٪ من بين إجمالي النصوص، في حين تمثّل الأعمال المتعلقة بأصوله نسبة ٢٠,٥٪.
- الخُطب بنسبة ٣,٧٪.
- الثيولوجيا بنسبة ٣٪[٢].
- الأدعية بنسبة ٢,٣٪.
- الشعر بنسبة ٠,٢٪.

- **صورة الموريسكي المتعلّم**

من الممكن استنادًا إلى المعلومات السابقة تشكيل "صورة" الموريسكي الأراغوني المتعلّم[٣]، الذي قد يكون بالدرجة الأولى فقيهًا

(١) حول أدب النوع الديني في الأندلس، راجع ماريا خيسوس روبييرا، "الأدب الإسباني- العربي"، ١٩٩٢م، صفحة ١٨٤-١٨٦.

(٢) يتعلق الأمر بالتحديد بملخّص كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي.

(٣) نأخذ بعين الاعتبار وبشكل حصري الأعمال المكتوبة باللغة العربية. وللاطلاع على ملخّص حول سوسيولوجيا الأدب الألخميادو- الموريسكي، راجع ميكل دي إيبالثا، في "مقدمة" كتاب "النشيد الإسلامي للموريسكي الإسباني-التونسي الطيبيلي" للمؤلف لويس برنانبيه بونس، سرقسطة، ١٩٨٨م، صفحة ٥-٢٦. راجع أيضاً ميكل دي إبلاثا، "الموريسكيون قبل الطرد وما بعده"، مدريد، ١٩٩٢م.

ومالكيًّا وحريصًا على حفظ ونقل وملاحظة الإرث القانوني الإسلامي بلغة القرآن؛ إنّه فقيه يعارض الدراسات التأملية المعمقة، ويعتمد على "كتيّبات الاستشارة السريعة"، مثل "المخُتصر" للطليطلي، ولا يبدو مؤهلاً أو مهتمًا بدراسة مصادر الفقه المالكي التقليدية، أو على الأقل لم تظهر في العيّنة مقاطع من "الموطّأ" لمالك أو من "المدوّنة" لسحنون اللذين يُعدان عملين أساسيين لتأهيل أيّ فقيه أندلسي منذ تلقّي المذهب المالكي. يعتمد الفقيه الموريسكي الأراغوني على نماذج عربية لكتابة كافة أنواع النصوص الفقهية، ويستند من خلال مجموعات "المسائل" إلى آراء أسلافه من الفقهاء. كما تتسم النصوص الفقهية بشكل أساسي بالطابع العملي، وتتيح للفقيه القيام بوظيفته داخل المجتمع.

في الدرجة الثانية، يُعدُّ الموريسكي الأراغوني المتعلّم "معلّمًا" أو مدرّسًا، وقارئًا أو مرتّلاً للقرآن الذي يمثّل النص الجوهري للإسلام، ويُقرأ بحسب الطقوس باللغة العربية فقط، ويُعدُّ مصدرًا أوّليًّا للتشريع ونموذجًا لغويًّا، وهو النص الأساسي للقراءة والحفظ خلال الدراسات الأولى للمجتمع الإسلامي التقليدي. وبالتالي ليس مستغربًا أن تشكّل الآيات القرآنية نسبة ١٥٪ من النصوص العربية المحفوظة، من بين تلك المخفية في ألمواثيد، ويعود سبب هذه الوفرة من الآيات إلى وظيفتها ثلاثية الطابع؛ الدينية والتربوية والشعائرية. كما نلاحظ من

خلال أحد مخطوطات الألخميادو[١] استمرارية قراءة نافع المدني التي تعدُّ إحدى الطرق الفقهية الأكثر انتشارًا في الأندلس[٢].

اكتسبت علوم اللغة في الثقافة الإسلامية دورًا بارزًا بين التخصّصات الإسلامية (وبشكل واضح بين تلك الدنيوية منها)، ولابد من الأخذ بعين الاعتبار أنّ القرآن قد شكّل أحد الأسباب الأساسية لتطوّر الدراسات اللغوية، وأصبح باعتباره كلمة الله نموذجًا وأساسًا للغة العربية[٣]. كان ينبغي على الموريسكي الأراغوني الذي استبدل بلغته الأم "العربية المحكية" اللغة القشتالية بذْلُ مجهود أكبر بكثير من إخوانه في الدين في بلنسية وغرناطة لتعلّم اللغة العربية الحرفية، وقد شكّل الحفاظ على قواعد اللغة والمفردات أمرًا جوهريًّا في مجتمعاتهم، وتجلّى ذلك في النسبة المرتفعة التي يمثّلها هذا النوع من الأعمال في عيّنة أعمال ألموناثيد. وسنتطرق إلى هذه النقطة لاحقًا.

تتضمّن العلوم الإسلامية، أي تلك التي انبثقت نتيجة لانتشار الإسلام، ثلاثة أنواع بشكل أساسي: القرآن، والشريعة، وتلك المرتبطة بالأحاديث النبوية. وهذه الأخيرة قلّما ظهرت بين كتب ألموناثيد (٣,٨٪

---

(١) تحديداً، المخطوط رقم ١٢، الصفحات التالية ١-١٥٧.

(٢) راجع خيسوس ثانون، "الحياة الفكرية في الأندلس خلال حقبة الموحّدين: دراسة "تكملة" ابن الأبار"، أطروحة دكتوراة غير مسبوقة. وحول قراءة نافع راجع ريجيس بلاشير، "مدخل إلى القرآن"، باريس، ١٩٤٧، صفحة ١١٨-١١٩. وحول القراءات القرآنية في الغرب الإسلامي راجع سعيد أعراب، "القرّاء والقراءات في المغرب"، بيروت، ١٩٩٠م.

(٣) راجع هنري فليستش، "أطروحة في فقه اللغة العربية"، المجلد الأول، بيروت، ١٩٦١م، الصفحة ٢.

من الإجمالي)، ويعود ذلك، بحسب اعتقادي، إلى تفسير بسيط: لم يكن لدراسة الحديث أيُّ تطبيق عملي أو شعائري أو قانوني في المجتمعات الموريسكية، فقد دُوّنت الأحاديث منذ عدة قرون مضت وكان نقلها يتمثّل بعمل شبه فقهي بحت أو تذكُّري. ولذلك بدأت بالانتشار منذ القرن الحادي عشر مجموعاتٌ سهلة الحفظ، مثل "الأربعون حديثًا"، و"الأحاديث المسلسلة"، أو تلك التي استُغني فيها عمدًا عن سلسلة الرواة، مثل "الشهاب" للقضاعي الذي ظهر بين كتب ألموناثيد[1]. في المحصّلة تُبيّن الكتاباتُ العربية من بين مخطوطات المجلس أنّ أكثر شرائح المجتمع الموريسكي ثقافة قد سعت للحفاظ على ثلاثة أنماط حياتية عملية التطبيق:

تأتي بالدرجة الأولى الشرعية القانونية، وبالدرجة الثانية الشعائر الدينية من خلال القرآن ومجموعة الأدعية والخُطب، وبالدرجة الثالثة الحفاظ على الشعور الديني الذي نستشفّه من خلال سير الأنبياء، وملخّص كتاب الغزالي "إحياء علوم الدين"، وكتب التصوّف.

قد يحافظ المجتمع المسلم ضمن دولة إسلامية على أنواع أخرى من النتاج المكتوب الذي لم يحافظ عليه الموريسكيون الأراغونيون، أو

(١) مخطوط رقم ٢٩، وعدة مقاطع من المخطوط رقم ٣٩، الصفحات التالية ١-٢٤. كان هذا العمل منتشراً على نطاق واسع في الأندلس خلال حقبة الموحدين. راجع خيسوس ثانون، "الحياة الفكرية في الأندلس خلال حقبة الموحّدين: دراسة "تكملة" ابن الأبار"، صفحة ١٥٦-١٥٨.

بالكاد استطاعوا الحفاظ عليه، وبالتالي كانت أعمال الشعر والنثر المزخرف وكتابات السير الحياتية والتأمل والعلم سطحيةً بالمجمل؛ لافتقارها للتطبيق العملي ضمن مجتمع مهمّش وذي موارد اقتصادية وفكرية ضئيلة.

لنتأمل فيما يفرضه غياب الأعمال البيبليوغرافية في المجتمعات الموريسكية. يُعدُّ "العالِم" أساسًا لنقل العلوم في مجتمع إسلامي تقليدي كمجتمع الأندلس، ويكون معلّمًا في تخصص واحد أو أكثر، ويعلّم تلامذته مستخدمًا طرائق أو مناهج مختلفة وفقاً لخطوط محدّدة ذات قيمة بارزة في النقل أو الرواية[1]. كما يتجسّد نشاط العلماء في أدب السيرة الذاتية الذي لا ينفصل عن عملية إنتاج ونقل العلوم الإسلامية، ويمكن القول إنّه يشكّل مرجعًا لها، ولكن الموريسكيون لم يحافظوا على هذا النوع من الأدب ولم ينتجوه نظرًا لعدم فاعلية نظام نقل العلوم في مجتمعاتهم، ولذلك لا يمكن الحديث عن وجود "مدارس" لديهم، فقد نفُذ النتاج الفكري باللغة العربية وبالكاد استمرت عملية النقل بطرائق من المحتمل أنّها كانت بدائية جدًّا.

- **تعلّم اللغة العربية بين موريسكي أراغون؛أعمال تتعلق بالنحو والمفردات وأعمال أخرى مشابهة**

يكمن الهدف الرئيس من الدراسة الحالية في تحليل الموضوعات

(١) حول هذه النقطة الأخيرة، راجع خيسوس ثانون، "طرق نقل المعرفة الإسلامية من خلال (تكملة) ابن الأبار"، مجلة شرق الأندلس، العدد التاسع، ١٩٩٢، الصفحات ١٢٩-١٤٩.

المتعلقة بالنحو والمفردات في "مخطوطات المجلس"، والتي لابد من تقييمها في سياق مجمل الكتابات العربية المحفوظة. ونذكر هنا جانبين اثنين أثارا اهتمامنا خلال هذا التحليل:

١- قلة الأعمال المكتوبة باللغة العربية، حيث نجد فقط تلك التي تعد جوهرية للحفاظ على التقاليد الإسلامية من الناحية الشعائرية والدينية (آيات قرآنية، أدعية، وخطب شعائرية)، وللحفاظ على الشعور الديني (روايات ذات طابع ديني وبعض نصوص التصوّف والثيولوجيا)، وللحفاظ على الشريعة (نصوص فقهية).

٢- تعدُّ الموضوعات المتعلقة بالنحو والمفردات ضروريةً للحفاظ على اللغة العربية في الشعائر والممارسات القانونية، آخذين بعين الاعتبار أنّ لغة موريسكي أراغون كانت القشتالية، وبالتالي قد تفضي إلى وظيفة فاعلة وعملية.

وبناء على وجهة النظر هذه سنأخذ بعين الاعتبار ما قد حُفظ والطريقةَ التي يمكن استخدامه بها ضمن عملية التعلّم والحفاظ على اللغة العربية كلغة ناقلة حرفية.

الأبجدية

تمثّل الكتابة العقبةَ الأولى التي سرعان ما يمكن تجاوزها من خلال تمارين الخط، كتلك التي ظهرت في ملفات ألموناثيد، وتضمّنت

تمارين لكتابة الخط بأحرف عربية مصنّفة في ثلاثة مواضع مختلفة[١]، بالإضافة إلى تمارين محفوظة للكتابة بالأحرف اللاتينية[٢].

كما نجد أيضًا نظام التوافق الصوتي لأحرف الأبجدية العربية وقواعد القراءة والكتابة في نصين قصيرين مكتوبين باللغة القشتالية؛ فمن غير الممكن أن يُكتبا بلغة الألخميادو عندما يتعلق الأمر بتعليم المبتدئين من متحدثي القشتالية أولى خطوات تعلّم العربية[٣]. وقد

---

(١) وهي التالية:

- في (التمرين ٦٤، ٤) "زخارف خطّية كتمارين كتابية".
- توجد في التمرين ٨٩، وهي أوراق من المخطوط ١٥، اثنتا عشرة ورقة باللغة العربية والألخميادو تتضمن من بين قضايا أخرى تمارينَ للكتابة.
- توجد في التمرين ٨٠، وهي صفحات من أغلفة المخطوط ١٦، ثماني أوراق يتضمن بعضها تمارين على الخط".

(٢) تظهر التالية بالتحديد:

- التمرين ٤، الورقة الانتهائية (راجع "تكريماً للسيد فرانثيسكو كوديرا"، سرقسطة، ١٩٠٤م).
- توجد في التمرين ٦٦، وهي أوراق من أغلفة المخطوط رقم ١، "عشر أوراق مسوّسة، بلغة قشتالية وأحرف إسبانية من القرن السادس عشر؛ تتضمن تمارين في الخط".
- توجد في التمرين ٧٥، وهي أوراق من أغلفة المخطوط ١١، "أربع أوراق متآكلة، باللغة القشتالية وغير مفهومة إلى حد ما؛ أحرف من القرن الخامس عشر بأيدي مختلفة ودون معنى واضح كتمارين كتابية".
- توجد في التمرين ٨٢، وهي أوراق من أغلفة المخطوط ١٨، "ثماني أوراق باللغة القشتالية تتضمن تمارين للخط".

(٣) بالتحديد:

- في النص ٦٠، الوجه الآخر للصفحة ١١٩، وصفحة ١٢٢: "قواعد قراءة القرآن". حرّرها أربعة علماء لكي تتمكن الأقوام الناطقة بلغة مختلفة عن لغة القرآن من قراءة الكتاب المقدّس. وهي شروحات ملتبسة حول قيمة واستخدام الحروف والرموز المساعدة للكتابة".

وثّقنا بين تلك المخطوطات وصفًا نظريًّا للخط العربي وجملة من التمارين العملية.

علم الصرف والنحو

تتضمّن الخطوة الثانية لتعلّم اللغة بحسب المنهج التقليدي استيعاب قواعد النحو والصرف، وتحتوي مخطوطات ألموناثيد كما هو الحال مع علم الخطوط أعمالاً نظرية بالإضافة إلى مجموعة من النصوص لتمارين النحو.

ونورد هنا قائمة بأعمال النحو:

- "كتاب تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي"، للمؤلف العراقي أبي محمد عبدالله بن علي بن إسحاق الصيمري الذي توفيّ عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م[١].
- كتاب "الجُمل في النحو"، لعالم النحو البصري أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجّاجي الذي توفيّ عام ٣٣٧هـ/٩٤٩م، وهو كتاب واسع الانتشار في الأندلس[٢].

- توجد في النص ٩٨، وهي أوراق من أغلفة المخطوط ٣٤، ورقتان مكتوبتان باللغة القشتالية تتطرقان إلى "التوافق الصوتي للأحرف العربية؛ بأحرف من القرن السادس عشر". وفيما يلي نقل لمحتواها. لا شك أنّها ترجمة حرفية لفصل مخصّص لعلم الصوتيات لإحدى قواعد اللغة العربية.

(١) مخطوطات المجلس- الرقم ١٥، ١٤٣ ورقة مكتوبة. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، المجلد الأول، صفحة ٢٨٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، المجلد السادس، صفحة ٨٧.

(٢) مخطوطات المجلس- رقم ١٩، ١٤٦ ورقة. توجد نسخة أعدّها محمد بن شنب، "الجمل: موجز في قواعد اللغة العربية"، باريس، ١٩٥٧. راجع بروكلمان، المجلد الأول، الصفحات ١١٠، ١٢٢.

- "شرح كتاب الآجرومية"، لأبي إسحاق إبراهيم بن غالب الأنصاري، وهو عبارة عن شرح مؤلف من ٣٤ صفحة "لكتاب الآجرومية"[١]، ومرفق بترجمة جزئية بين السطور بالألخميادو.
- "كتاب الآجرومية"، مع ترجمة بين السطور بالألخميادو، لأبي عبدالله محمد بن داوود بن آجروم الصنهاجي، الذي توفيّ في فاس عام ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م، ويُعدُّ عملاً لاحقًا، ولكنّه منتشر على نطاق واسع[٢].
- "كتاب الشجرة في النحو والمسمّى بكتاب التقريب"، لعالم النحو البغدادي أبي إسحاق إبراهيم بن سهل بن السرّي الزجّاج النحوي (٢٣٠-٣١١هـ/ ٨٤٤-٩٢٣م)، ومرفق بترجمة بين السطور بالألخميادو[٣].

---

(١) مخطوطات المجلس- الرقم ٥٩، الوجه الآخر للصفحة ١٠٤، والصفحة ١٣٧.

(٢) مخطوطات المجلس – رقم ٥٩، الصفحات، الوجه الآخر للصفحة ١٣٨ والصفحة ١٧٥. راجع بروكلمان، المجلد الثاني، ٣٠٨-١٠ والتالي ٣٣٢-٥؛ الطبعتين الأولى والثانية، المجلد الثالث، ٧١٩ (جيرارد تروبو، "ثلاث ترجمات لاتينية لمقدّمة ابن آجروم"، في دراسات مكرّسة لذكرى إيفارست ليفي بروفنسال، الطبعة الأولى، باريس، ١٩٦٢، الصفحات ٣٥٩-٣٦٥.

(٣) مخطوطات المجلس- رقم ٥٩، صفحات ١٧٦-٢١٦. سزكين، تاريخ الأدب العربي، الفصل الرابع، الصفحات ٨١-٨٢؛ ولكن هذا الكاتب نفسه يفسّر في العمل المذكور، صفحة ٨٢ حاشية ١، وصفحة ١٦٩، ونظنّه محقّاً، أنّ العمل المشار إليه يتطرق في الواقع حول كتاب ابن الشجرة، أيّ كتاب أبي بكر أحمد بن كامل بن الشجرة القاضي (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وإحدى أعماله في علم النحو والصرف بعنوان "كتاب التقريب في كشف الغريب".

- مقطع مجهول المصدر حول قواعد اللغة العربية مؤلف من ١٦ صفحة[١].

ويوجد مقطع بلغة الألخميادو، ويُعدُّ ترجمة حرفية "لكتاب الآجرومية"[٢]، ونجد إلى جانب هذه الأعمال النظرية أوراقًا لتمارين عملية[٣] في موقعين مختلفين. ولكن من المستغرب، من بين الأعمال النحوية في ألموناثيد، غيابُ كتاب سيبويه، ١٨٠-١٩٤هـ/ ٧٩٦-٨٠٩م، في النحو، الذي مثل مرجعًا في العالم العربي ودُرّس وانتشر على نطاق واسع في الأندلس. وبالمقابل نجد عوضًا عن هذا العمل النحوي التقليدي أعمالاً وجيزة ومبسّطة وأكثر ملاءمة للنشر، مثل كتاب "الجُمل" للزجّاجي، أو "كتاب الآجرومية" الوجيز الذي وصفه جيرارد

---

(١) مخطوطات المجلس- رقم ٣٧، صفحات ١٦٦-١٨١. وهناك أيضاً مقاطع من علم النحو والصرف أكثر إيجازاً في المخطوط ذاته، ٣٧، صفحات (الوجه الآخر من الصفحة ٣٨) والصفحة ٤١، وفي المخطوط ٣ (الوجه الآخر من الصفحة ٢٢٨)؛ والمخطوط ٢٥، الصفحة الأولى من الصفحات الانتهائية. كما توجد مقاطع من علم النحو والصرف في مجلدات الأوراق المتفرقة: ٦٤ (٩)، ٨٠ (٤)، ٨٦ (١)، ٣٩٩ (٨).

(٢) مخطوطات المجلس – رقم ١٢، صفحات ١٦٠-١٨٩.

(٣) بالتحديد:

- توجد في المخطوط رقم ٩٨، وهي أوراق مصدرها أغلفة المخطوط رقم ٣٤، ورقة تتضمن "تمارين في النحو".
- توجد في المخطوط رقم ١٠١، وهي مجموعة أوراق متفرقة من عدّة مخطوطات، "أربع عشرة ورقة مسودة تتضمن تمارين على الخط والنحو والمفردات؛ يبدو بعضها تدريبات على قراءة وكتابة الأحرف العربية؛ وأخرى عبارة عن ملاحظات تحضيرية بترجمة الألخميادو لنصوص عربية؛ وإحداها تتضمن رسومات في الخط".

تروبو بسهولة الحفظ، ونال شهرة واسعة في الدول العربية كافة وصولاً إلى يومنا هذا، وكان دافعًا لكتابة ما يقارب ستين شرحًا حوله، وهو ما يوحي بقبوله الواسع وانتشاره[1]. ربّما يتبادر إلى الأذهان أنّ "كتاب سيبويه" قد أُحرق مع كتب أخرى في النار، ولكن ليست نار محاكم التفتيش التي كان مصيرها يؤول إليها، بل نار صبية ألموناثيد. ونظرًا لذلك، فقد يكون من المصادفة أيضًا أن ينتهي مصير أعظم أعمال التخصّصات الإسلامية في النار، حيث لم يُحفظ في مجال الفقه "موطّأ" مالك أو "مدوّنة" سحنون، وبقيت بعض الملخّصات سهلة النشر مثل "المختصر" للطليطلي. كما لم تُحفظ أيّ من الكتب الشرعية، لاسيّما كتب البخاري ومسلم والترمذي، التي كانت الأكثر انتشارًا في الأندلس، ولكن بالمقابل وصلنا كتاب "الشهاب" للقضاعي الذي صدر في مرحلة لاحقة، واتّسم بسهولة الحفظ. لابد من التأكيد، في المحصّلة، أنّ الأعمال العربية المحفوظة والمنقولة من قبل الموريسكيين الأراغونيين كانت مقتضبة وسهلة الحفظ بشكل عام، وأنّ الموريسكيين لم يستخدموا، باستثناء القرآن، مصادرهم التقليدية، وإنّما بعض تعديلاتهم اللاحقة وملخّصاتهم أو مقتطفاتهم الموجزة.

علم المعاجم

نجد بين مخطوطات ألموناثيد أيضًا موضوعات تتعلق بعلم المعاجم، وبالتحديد مقطعين اثنين من "مختصر كتاب العين" للإشبيلي

(١) موسوعة الإسلام الطبعة الثانية، المجلد الثالث، صفحة ٧١٩.

أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الذي توفيّ عام ٣٧٩ هـ/ ٩٨٥م[١].

مواضيع أخرى: ترجمات ما بين السطور

قمنا إلى هنا بمراجعة تلك الأعمال والمواضيع ذات الطابع النحوي الواضح، ولكن كل من انخرط في عملية تعلّم اللغة العربية يفتقد على الأقل لوجود مواد حول المفردات أسهل استخدامًا من القاموس العربي-العربي للزبيدي، فالمخزون الهائل والمعقّد من مفردات اللغة العربية يجعلها صعبة التعلّم دون قوائم مصطلحات وقواميس مناسبة. إذن كيف تمكّن الموريسكيون متحدّثو القشتالية الذين بدأوا بدراسة النصوص العربية من تجاوز تلك العقبة؟ أم أنّ ذلك لم يمكن تجاوزه؟

أكد خوليان ريبيرا بعد مراجعة مخطوطات ألموناثيد ما يلي:

" تشير ترجمات الألخميادو التي قام بها موريسكيو أراغون في أغلب الحالات إلى أنّهم مستعربون فظيعون غير قادرين على استيعاب العربية بوضوح، ويختتم قائلاً: إنّهم أسوأ من أكثر المستعربين الحاليين سوءًا"[٢].

ودون شك لم يكن خوليان ريبيرا يقصد كل الترجمات، بل تلك

(١) مخطوطات المجلس- رقم ٣٥، ١٤٥ ورقة مكتوبة ورقم ٤٩، ١٣٧ ورقة مكتوبة. كما يوجد في المجلد رقم ١٠١، الذي يضم مجموعة من الأوراق المتفرقة التي يعود مصدرها إلى عدّة مخطوطات، مقطعٌ يبدو أنّه من "معجم للمتجانسات اللفظية العربية". وللاطلاع على السيرة الذاتية للزبيدي، راجع خوسيه بيريث لاثارو، "كتاب ابن شهيد حول لحن العامة في الأندلس"، دار نشر الكانتارا، الطبعة السابعة، ١٩٨٦، صفحة ٢٥٣م، حاشية ٢.

(٢) مخطوطات عربية وبالألخميادو، صفحة ٢٣.

الحرفية منها والمكتوبة بشكل عام ما بين سطور الأعمال العربية. وقد كان هذا النوع من الترجمات موضع دراسة أجراها ابن خيميا[١] من وجهة نظر رسمية، وأطلق عليه تسمية "الأعجمية المستنسخة"؛ نظرًا لأنّ ترجمات ما بين السطور كانت في الواقع عبارة عن استنساخ من النص العربي، كلمة مقابل كلمة، أو كما يوضّح أحد الكتّاب الموريسكيين في عنوان أحد الأعمال أنّها قد كُتبت "بالعربية من الرومانسية كلمة مقابل كلمة"[٢].

ولو قرأنا إحدى الترجمات "بالأعجمية المستنسخة" دون معرفة الخصائص النحوية للغة العربية لبدت لنا غير مفهومة بالكامل، والأمر ذاته يحدث أيضًا بالنسبة للموريسكي الذي يجهل اللغة العربية[٣]. وبالتالي لا تغني الترجمة "بالأعجمية المستنسخة" عن النص العربي كما هو الحال مع الترجمات الراهنة، ولا يمكن القول إنّ الموريسكيين قد أهدروا وقتًا وجهدًا كبيرين للقيام بعمل عديم الجدوى.

---

(١) راجع عبد الجليل التميمي، "اللغة الموريسكية والأعمجية المستنسخة"، وقائع الطاولة المستديرة الأولى في اللجنة الدولية للدراسات الموريسكية، حول الأدب الألخميادو-الموريسكي؛ التهجين اللغوي وعالم الخطابة، تونس، مركز أبحاث علوم المكتبات والمعلومات، ١٩٨٦م، صفحة ١٢-٢٦. وبحث "لغة مسلمي إسبانيا الأواخر"، منشورات جامعة تونس، ١٩٨٧م.

(٢) العنوان الكامل هو "هذا هو شرح الرسالة وفحواها منقولة من العربية إلى الرومانسية كلمة تلو الأخرى"؛ راجع مخطوطات عربية وبالألخميادو، صفحة ٢٦٦.

(٣) تقول فرضية ابن خيميا إنّ الاستنساخ النحوي والجمالي يحدث نظراً لأنّ اللغة العربية وعراقتها الثقافية تعدُّ نموذجاً مثالياً ولاشعورياً، دون تقديم أي حجج تدعم هذه الفكرة (راجع "لغة مسلمي إسبانيا الأواخر"، صفحة ١٢٨-١٢٩).

يوضّح لنا التضمينُ ما بين السطور أساسَ عمل هذا النوع من الترجمات؛ فكل كلمة عربية تمتلك مقابلها بالألخميادو أسفل منها مباشرة. ويبرز هنا عدم التقيّد بقواعد النحو الإسبانية، ولكن الهدف يكمن في شرح كل مفردة من مفردات النص العربي، وبذات الترتيب، على طريقة بعض الحواشي القشتالية بين سطور المخطوطات اللاتينية خلال العصور الوسطى. يُعدُّ النص العربي الأساسَ الذي لابد من استيعابه وحفظه باتباع نظام التعليم التقليدي، في حين يكتسب نص الألخميادو بين السطور معناه إن قُرئ النص العربي في ذات الوقت، وهذا يساعد على استيعاب النص العربي موضع الحفظ. وبالتالي تكمن أهمية الترجمات بين السطور في منح أساس مفردة النص العربي، وتقوم بدور قوائم المصطلحات، كما تكشف في الوقت ذاته عن النظام النحوي للعربية، وتمتلك بالمحصلة وظيفة تربوية.

من جهة أخرى، لم يكن نقص المواد المتعلقة بالمفردات، الذي لاحظناه في مخطوطات ألموناثيد، بهذا الشكل، فكل واحدة من ترجمات الألخميادو المضمّنة في النص تعد بمنزلة قائمة مصطلحات موريسكية. يندرج هذا التفسير إلى حدٍ ما في تقاليد الحواشي خلال العصور الوسطى في إسبانيا المسيحية، وكان هذا الجانب موضع بحثٍ لدى مانويل دياث إ دياث[1].

(١) راجع "الحواشي الإسبانية الأولى"، برشلونة، ١٩٧٨، "وكتب ومكتبات في مقاطعة لا ريوخا أوائل القرون الوسطى"، لوغرونيو، ١٩٩١ (الطبعة الثانية)، حيث نسلّط الضوء على الاقتباس التالي (صفحة ١٠٦، حاشية ٣٣): "تطوّرت آلية الحواشي بشكل خاص في إقليم

نلاحظ في نهاية المطاف أنّ النصوص المرفقة بترجمات بين السطور، والتي يُمكن تسميتها بحواشٍ ضمن النص، تتضمن أعمالاً ذات طابع ثقافي وإسلامي – لا نجد أيَّ نص من الأدب الشعبي باللغة العربية يتضمن ترجمة بين السطور بالألخميادو-، بمعنى آخر، تعدُّ كل الأعمال المرفقة بترجمة ضمنية أعمالاً أساسية للتأهيل في إحدى التخصّصات الإسلامية، وهذا ما يدفعنا مجدّدًا للتأكيد على الطابع التربوي البحت للترجمات "بالأعجمية المستنسخة".

- **خاتمة**

تُمثّل الأعمال التي عُثر عليها في ألموناثيد عيّنةً حول النشاط الفكري لموريسكي أراغون، وبالتالي يتيح لنا التحليل الشامل أو المتخصص لهذه الأعمال العثور على أجوبة -بعضها قابل للقياس الكمّي وبعضها الآخر غير قابل- لمسألة تمثل الحياة الفكرية لديهم، ومن ضمنها وضعهم اللغوي الخاص. يمثل الوضع اللغوي محور هذه الدراسة التي تركّز على وظيفة نقل الأعمال النحوية وخصائصها، والتي لا يمكن دراستها بشكل منفصل عن بقية الأعمال المحفوظة باللغة

= بورغوس – لا ريوخا، لا سيّما منذ بدايات القرن الحادي عشر، ربّما ليس كنتيجة لاحتياجات الوعظ، كما يُقال عادة، وإنّما ضمن مجال النشاط المدرسي. وتُوظّف الحواشي وقوائم المصطلحات، والتي تعد عناصر أساسية في ثقافة تلك القرون، كوسيلة لا تقل أهمية عن وسائل التعليم الأخرى. ولا يميّز هذا التعليم الذي اتخذ صبغة رومانسية بين الحواشي اللاتينية الشائعة جداً وتلك الرومانسية التي أصبحت تدريجياً أكثر وفرة".

العربية؛ فجميعها تشكّل وحدة واحدة.

حافظ المجتمع الموريسكي متحدّث القشتالية في ألموناثيد بدايات القرن السابع عشر على عدد بارز من الأعمال باللغة العربية التي قُدّرت بما يقارب نسبة ٣٧,٥٪ من أجمالي كتبهم. ولم يمتلك، باستثناء القرآن، الأعمالَ التقليدية للتخصّصات الإسلامية الأساسية -من ضمنها النحو، وإنّما مراجع وملخّصات سهلة الاستخدام والحفظ. ومن جهة أخرى، اقتصرت الكتابات العربية بشكل أساسي على تلك التي تسمح بالحفاظ على لغة القرآن في المجال القانوني والديني، وكانت عبارة عن أعمال خالية من التعقيد وعملية ومحدودة التخصّصات، ولولا الحفاظ على قواعد النحو والقواميس في المجتمع لكان من الصعب جدًّا فهم اللغة.

يبدو جليًّا الطابعُ العملي للدراسات النحوية، فقد كان التواصل الأول مع اللغة العربية من خلال القشتالية التي شرحت كامل نظام علم الخطوط، وترافق جزء من قواعد اللغة المبسّطة وسهلة الحفظ بترجمات بالألخميادو، كما عُثر في بعض الأوراق على تمارين للكتابة والنحو.

يتجلّى نظام الترجمة بين السطور الذي نجده في بعض قواعد اللغة في أعمال أخرى، لاسيّما في القرآن وتفاسيره وأعمال السير النبوية والمذاهب الفقهية والأدعية. وقد سمح هذا النظام من الترجمة، كلمة مقابل كلمة، بالوصول إلى أساس المفردة –أو الحاشية- لكل مصطلح عربي أسفله مباشرة، وأتاح بالتالي دراسة وحفظ واستيعاب

النصوص العربية. وهكذا تحوّلت الترجمات بين السطور إلى قوائم مصطلحات عملية للغاية وشكّلت في الوقت ذاته طريقة واضحة لشرح قواعد نحو اللغة العربية، وجسّدت بشكل أساسي وظيفة تربوية.

ربّما كانت الترجمة بين السطور بأحرف لاتينية أكثر التباسًا؛ نظرًا لأنّ الكتابة من اليسار إلى اليمين تعوق تموضع كل كلمة مترجمة أسفل الكلمة المقابلة لها بالعربية، ولو كان ذلك، لما كان بالإمكان قراءة كل سطر من السطور المترجمة بطلاقة. ولذلك يعدُّ نظام الترجمة بين السطور أو الحاشية بالألخميادو أكثر بساطة وعملية منه بالأحرف اللاتينية.

يُمثّل هذا التأكيد الأخير حجّةً تدعم فرضية ألبيرتو مونتانير الذي يرى أنّ سبب نشوء الكتابة بالألخميادو، من بين أسباب أخرى ممكنة (فرضية الأصل المتعدد)، يعود إلى ضرورة وضع حواشٍ بين سطور النصوص العربية المحفوظة في مجتمعات المدجّنين الذين فقدوا اللغة العربية كاللغة الأم بالنسبة لهم[1]. وبالتالي تطوّر وتحسّن نظام الكتابة هذا خلال فترة زمنية طويلة نسبيًّا، وبعد انتشاره وخضوعه للتجربة واكتسابه شعبية تخلّى عن وظيفته الداعمة ليُستخدم بشكل مستقل.

(١) راجع "أوج أدب الألخميادو في أراغون"، في الدورة الثانية حول اللغة والأدب في أراغون (العصر الذهبي)، بإدارة أورورا إيخيدو وتوماس بويسا، طبعة خوسيه ماريا إنغيتا، سرقسطة، ١٩٩٣م، صفحة ٣١-٦١، ولا سيّما ٤٠ و ٤٥.

هيلة بنت عبد العزيز العنقري:
اختيار حمد الجاسر وشريكة مجده

سليمان بن أحمد التركي

قضيتُ في أيامٍ خلت وقتًا ماتعًا مع تراث علّامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، وجددت العهدَ بما سطره في مذكراته ورحلاته وحواراته التي لا يسأم الإنسان من مطالعتها وتقليب النظر فيها؛ لما انطوت عليه من الفوائد والفرائد والشوارد، وما اتسمت به من الوضوح والصفاء والصراحة التي قلَّ نظيرها في مؤلفات هذا الفن.

وتوقفتُ عند نصوص عاطرة متناثرة؛ كتبها الشيخ الجليل عن زوجته وأسرتها، تتضوع منها رائحة المحبة والوفاء والتقدير والإجلال.

وكان ما قرأته عنها إضافة إلى أسبابٍ أخرى؛ دافعًا لي ومشجعًا لمثلي أن يُذكِّر ببعض ما قاله (أبو محمد) في أم أولاده: رفيقة الدرب، وشريكة المجد، مع ذكر لمحاتٍ مما عرفته عنها، وعن أسرتها.

اسمها ونسبها:

هي سليلة الأكارم، ووارثة الأماجد، السيدة، الكريمة، الحسيبة، النسيبة: هيلة بنت عبد العزيز بن عبدالله بن ناصر بن عبدالله بن

الأمير إبراهيم بن سليمان العنقري.

تنتمي -حفظها الله- إلى الأسرة العنقرية السعدية التميمية العريقة التي تولت منذ بضعة قرون إمارة (ثرمداء) إحدى أشهر بلدات إقليم (الوشم) في (نجد).

وهي من أقوى الإمارات في (نجد) وأحصنها، كما بيّنه المؤرخ مقبل ابن عبد العزيز الذكير في تاريخه: (مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود).

وُصف جدها الأعلى الأمير الشهير: إبراهيم بن سليمان العنقري، وعهده؛ بالقوة، والصلابة، والصرامة، والشجاعة، والهيبة، والإباء، وشدة المراس، ورسوخ الحكم، والنفوذ على الجيران، وقد طالت مدة إمارته على (ثرمداء) فبلغت قرابة نصف قرن (ت١١٨١هـ/١٧٦٧م).

ولا تزال إمارتها بيد (العناقر) إلى يومنا؛ تقديرًا من الدولة لمكانة هذه الأسرة التاريخية.

وليس بخاف أن لعناقر (ثرمداء) مصاهرات عدة مع الأسرة الملكية السعودية الكريمة.

أسرتها:

والدها: الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن ناصر العنقري، من أعيان النجديين في (مكة) ووجهائهم (ت١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

نبيل، وافر العقل، محب للخير، ليّن الجانب، حسن السمعة، مرموق المكانة، متين الديانة، متعلم، مشغوف بالمطالعة، له ولع

بالتاريخ والأدب والشعر، وتحتفظ مكتبته الخاصة بمجموعة من نوادر الكتب والدوريات القديمة.

تولى مسؤوليات متنوعة، منها: الإشراف على الشؤون الخاصة للأمير فيصل، نائب الملك عبد العزيز في (الحجاز).

وقد عرفه الشيخ حمد عن قرب في (مكة) قبل نحو قرن، ثم اشترك معه في بعض أعمال الحكومة، وأصبح بالنسبة إليه كأحد أولاده، وأثمر اتصاله الوثيق به أن تزوج -بإشارة من صديقه الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم (أمير الباحة الأسبق)- من أوسط بناته (هيلة).

ووالدتها: الجوهرة بنت عبد المحسن بن عثمان العنقري (ت١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، من كرائم النساء، وواحدة من سيدات الأمهات شفقةً على ذريتها، وحرصًا على استقامتهم وتربيتهم، وسعيًا في تعليم أبنائها وبناتها -على حد سواء- بما كان متاحًا وميسورًا من طرائق التعليم ووسائله.

ذكرها الشيخ حمد واصفًا إياها بأنها أعقل مَنْ عرف مِنَ النساء، وأحسنهن تدبيرًا لشؤون بيتها. وكانت مضرب المثل في صبرها وتجلّدها واحتسابها الأجر حينما وافى الأجل اثنين من أبنائها وهما في زهرة شبابهما وأوج عطائهما.

وجدها لوالدتها: الأمير عبد المحسن بن عثمان العنقري، الذي اختاره الملك عبد العزيز أميرًا لثرمداء، وذلك بعد ضمها مباشرة لحكمه في أواخر العام (١٣٢٠هـ/١٩٠٣م).

وجدتها لوالدتها: سيدة نبيلة من آل عون، من أشراف (الطائف) ورؤسائها.

وأخوها: عبدالله (ت١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) وجيه، باذل، ومن أبرز رجال الأعمال في قطاع المقاولات، وأسس مع شقيقه عبد المحسن (والد معالي د. حسام) أقدم الشركات الوطنية في الخمسينات الميلادية، وأسهما مبكرًا في التنمية والنهضة العمرانية، ومقرهم الرئيس في (جدة). وقد توفي عبد المحسن شابًّا في العام (١٣٨٧هـ/١٩٦٨م).

وأخوها: محمد (والد معالي د. خالد): مثقف وأديب، واسع الاطلاع، أنيق التعبير، ابتعث إلى (القاهرة) في عهد الملك عبد العزيز، وتخرّج في دار العلوم مختصًّا باللغة العربية، ثم عمل في ديوان وزارة الخارجية، وفي السفارة السعودية في (بغداد) بالمملكة العراقية حينذاك. وقد توفي محمد شابًّا في العام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

وفي أشرف البقاع وأطهرها، وفي ظل هذا البيت الكريم المعرّق في نسبه وحسبه كما وصفه الشيخ سليمان بن حمدان (ت١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، في ترجمته لأستاذه الجليل قاضي (سدير) الشهير: الشيخ العلّامة عبدالله بن عبدالعزيز العنقري (ت١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)؛ نشأت (هيلة) وترعرعت.

زواجها:

تزوجها الشيخ حمد وهو في السادسة والثلاثين من عمره في العام (١٣٦٤هـ/١٩٤٥م)، وقال عن زواجه بها -ولم يتزوج غيرها-: "**وها أنا**

الآن بعد زواجي وقد شعرت عن ثقة وارتياح، بتحقيق ما أطمح إليه على خير الوجوه وأتمها، أحِسُّ بأنني من أسعد الناس في حياتي الزوجية".

وأفاض في تعداد فضائلها؛ فذكر منها: الرزانة، ورجاحة العقل، والنظر الصائب، والرأي السديد، وحسن التدبير، وقوة العزيمة، والوفاء، وطيب العشرة.

ولا غرو أن تتصف بذلك فهي -كما سبقت الإشارة- من بيت إمارة وعلم ووجاهة، وذلك ما أسبغ عليها كثيرًا من أسباب تميّز الشخصية وتفردها.

وأشار أيضًا إلى: إجادتها القراءة والكتابة، وميلها للتزود بالعلم، ونيلها حظًّا من التعليم النظامي في سن متقدمة، وحرصها على الوقوف بمعية زوجها على آثار المسلمين ومعالم حضارتهم في أصقاع العالم.

وقد مهدت لها إقامتها مع أسرتها وأولادها في (القاهرة) ثم (بيروت)، الطريق لتعلم اللغة الإنجليزية، والإلمام بقدر معتبر منها؛ فكانت تترجم لزوجها في رحلاته حينما تسافر معه.

كما ألمح إلى عنايتها بحسن هندامه وجمال مظهره، وأثنى على مائدتها، وحسن إعدادها الطعام، ولا سيما (مراصيع غالي)، وأنه مما امتاز بصنعه (الوشميّات)، وأم محمد –لا شك– منهن بمكان. ووصف اختياره إياها بالموفق، وأعاد لها الفضل في تربية أولاده تربية مثالية، وتعليمهم تعليمًا جيدًا، وشكر لها كفايتها إياه شؤون البيت والأولاد.

وما من شك أن حدبها على أولادها، وبخاصة بناتها الأربع: (مي)، و(هند)، و(سلوى)، و(منى)؛ قد أخصب خيرًا، فأصبحن في الصف الأول من الجامعيات السعوديات، وفي صدارة من نلن الشهادات العالية في تخصصات علمية تعد نادرة حينذاك.

وقد ابتهج الشيخ بتفوق ابنه (معن) في جامعة البترول والمعادن وحصوله على شهادتها في الإدارة الصناعية، وسَعِد بحضور حفل تخرجه وتكريمه بمقر الجامعة في (الظهران)، وبقيت هذه المناسبة العزيزة راسخة في وجدانه، وأحيت في ذاكرته سنواتٍ عبقةً بالعطاء قضاها مشرفًا على شؤون التعليم في (أرامكو) ومراقبًا للمطبوعات في (الظهران) قبل ما يزيد عن ثلاثين عامًا من تخرج نجله.

وقد نتج عن ذلك كله -كما يخبرنا الشيخ- استعداده النفسي التام وتفرغه الكامل لأعماله البحثية، وعضوياته المؤسسية، ورحلاته العلمية في تتبع الكتب والمكتبات، وتنقيبه في خزائن المخطوطات، واشتراكه في المؤتمرات والندوات، واتصاله بالعلماء والمفكرين، وإفاداته الدارسين والباحثين حضوريًّا وبريديًّا وهاتفيًّا؛ حتى صح القول: إن الشيخ وهب حياته للعلم، وأوقف نفسه على القراءة والبحث، وأصبح يجد فيهما لذته وأنسه فلا شيء عنده يعدلهما.

وكرم الشيخ في العلم ومع العلماء والمحققين نادرُ المثال، وبخاصة سخاؤه بنفائس المخطوطات ونوادرها، وبذلها لأقرانه وطلابه بدارًا قبل السؤال، لا يتأخر عن ذلك ولا يتردد. وهو ما يكشف سموه بنفسه عن أن يصل بعلمه إلى مال، أو جاه، أو شهرة.

أعمال مؤسسية خالدة:

في أوراف هذه الأجواء المريحة التي هيأتها له (أم محمد)؛ سعى المرحوم إلى أعمال نافعة مستدامة، من أبرزها: إنشاء مطبعة الرياض، أول مطبعة في (نجد)، وذلك في العام (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، وسخرها لطباعة كتب التراث، وأعداد مجلته (اليمامة) وصحف أخرى، وبواكير مؤلفات جيل الشباب من مثقفي (الرياض)؛ وهم من أصبحوا -فيما بعد- أعلامًا في مسيرة الحياة العلمية والأدبية في (المملكة).

كما افتتح (دار اليمامة) للبحث والترجمة والنشر، وأسس مجلتنا الغراء (مجلة العرب) قبل ما يزيد عن ستين عامًا (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

والتزم فيهما -منفردًا وبقدرات ذاتية وإمكانات شخصية- بأن يعتني بتراث أمته، وحضارتها، ولغتها، وثقافتها، وتاريخها، وجغرافيتها، وأنسابها، وقد برع في تحقيق مراده وبلوغ غايته بما حباه الله من همة رفيعة، ورباطة جأش، وصلابة عزم، ورسوخ علمي؛ حتى شبّه علماء كبار أجلاء (مجلة العرب) بالمجمع العلمي، ووُصفت بأنها سفارة وحدها!

ومن اطلع على حصاد الشيخ في هذين المشروعين العظيمين أدرك رصانة عمله، ووقف على عصارة علمه وفكره وتجربته، وتفانيه في الدقة والضبط والإتقان، وابتهاجه الكبير بالنقد والتصويب

والاستدراك، وفتحه الباب لصغار الباحثين قبل كبارهم.

وكم كان يبذل من الجهد في خدمة ما يصل إليه من مقالات وبحوث معدة للنشر، يدقق فيها ويحقق، وربما أضاف إلى هوامشها من الفوائد العزيزة ما يزيد نفعًا عمّا في المقال نفسه.

ومن شأنه في المجلة مراسلة العلماء وأهل الاختصاص طالبًا العون والإفادة فيما يُشكل عليه؛ حتى يبلغ البحث المنشور الغاية في الإحكام شكلاً ومضمونًا.

وغني عن القول: إن هاتين المؤسستين مستمرتان في أداء رسالتهما في خدمة العلم بعامة، وتراث الشيخ بخاصة بعد أكثر من ربع قرن من وفاة مؤسسهما.

ويجلل تلك المسيرة ويزينها تأييد ومؤازرة ورعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود –حفظه الله ورعاه-، الرئيس الفخري لمؤسسة حمد الجاسر الثقافية.

ثم تعاون تلاميذه الأوفياء؛ كلٌّ في تخصصه، وبعناية مالية وإدارية من (أم محمد) وذريتها البررة، وفي مقدمتهم ابنها الفاضل المهندس: (معن)، الأمين العام للمؤسسة، وقلبها النابض. وبذا تتصل سلسلة العلم، وتتوالى حلقاته، ويبدو الشيخ حياً ماثلاً بيننا وإن وُوري جسده الثرى.

برها بزوجها في حضوره وغيابه:

ما تزال (أم محمد) وفيّة لزوجها وأيامه، شديدة الحفاوة بميراثه

العلمي والثقافي، تتقدم أسرتها في استقبال النساء في ندوة مركز حمد الجاسر الثقافي الأسبوعية طوال عقود مضت، وكم استقبلت في (دارة العرب) من الزائرات، وكم ودعت من أخريات، تاركةً في نفوسهن أطيب الأثر بوجهها البشوش وبسمتها الناطقة وحديثها العذب.

وكانت بإصرارها وأهل بيتها على بقاء مجلس زوجها مفتوحًا ونافعًا؛ سببًا مباركًا في خدمة تراث الشيخ، والدعاء له والترحم عليه في مفتتح كل ندوة وختامها.

ومع تقدمها في السن واعتلال صحتها، لم تتأخر يومًا عن شهود مناسبات التكريم لزوجها شيخ التراثيين وفخرهم، بل تراها في طليعة الحضور على كرسيها المتحرك.

وأذكر قبل سنوات قليلة أمسية أقامتها وزارة الثقافة عن الشيخ في معرض الكتاب بالرياض، وشهدتُ بنفسي حضور (أم محمد) لها، متكبدة مشقة القدوم المبكر والانصراف المتأخر، وهو -بلا ريب- مشهد مؤثر بليغ؛ يختصر كثيرًا من القول عن نفاسة معدنها، وطيب أرومتها، ووفائها لزوجها الذي نعمتْ بصحبته وارتبطتْ به بأوثق رباط قرابة ستين عاماً، كلها مودة وإخلاص وعطاء.

ومن هنا لا يستغرب أن يفوحَ عبيرها؛ فيكتبَ عنها بعض أصدقاء زوجها وتلاميذه، فيصفوها بالصلاح، والتدبير، وحسن التبعل، والحذاقة في رعاية شؤون البيت والأولاد، ويعدوها من أعظم نعم الله عليه.

شريكة الأثر والتأثير:

تجاوزت آثار الشيخ منذ العام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) إلى يومنا ثمانية آلاف من المؤلفات، والبحوث، والتحقيقات، والمختصرات، والمقالات، والمقدمات، والتعليقات، والردود، والاستدراكات، والتوضيحات، والمناقشات، والتعقيبات، والخطب، والكلمات، والحوارات، والمقابلات، والمحاضرات، والندوات، والمراسلات، والأوراق الخاصة. وأغلبها الأعم -باستثناء المراسلات- مرصود في سجلات (ببليوجرافية) مطبوعة.

وأما آثاره المخطوطة ولا سيما مراسلاته وتعليقاته العلمية وأوراقه الخاصة؛ فما تزال مصونة في مكتبته، صدر عن بعضها جزء واحد، ولو طبعت نوادرها لجاءت في مجلدات عدة.

وكوّن الشيخ حمد -فوق ذلك- من تلامذته ومريديه أجيالاً متعاقبة من العلماء الكبار الذين التفوا حوله، ونهلوا من معين مدرسته، ولهجوا بفضله، وأمدوا المكتبة العربية بإنتاجهم الرصين.

ولم يقف نشاط الشيخ الهمام عند ما ذكرته فحسب، بل امتد إلى ميادين شتى، فقد كان شعلة متقدة وحركة دائبة، ولستُ هنا في مقام حصر أعماله وتتبعها.

و(أم محمد) -إن شاء الله- شريكته في الأثر، والتأثير، وبث المعرفة، ونشر العلم، والإصلاح والتنوير. يقول حمد الجاسر في سوانحه عن زوجته (أم محمد): **"بل أضفت على قلب زوجها من الراحة ما مهد أمامه السبل، ليبذل ما يستطيع بذله فيما اتجه له**

من عمل نافع". وقال: "**ولتلك الزوجة الوفية في كل ذلك فضلها الذي لا يُنسى**".

وسأله صحفي بعدما اجتاز السبعين من عمره: كيف تنجز مهامك الكثيرة وليس لديك موظف (سكرتير) ينظم أعمالك؟ فأجابه: "**لاأحتاجه... أم محمد هي كل شيء**".

وإيمان الشيخ بدور المرأة وأهميته ظاهر جلي في فكره وإنتاجه، ومنه ما كتبه في بحثه المعنون بـ: (المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) حيث يقول: "**ولا شك في أن إهمال أثر المرأة في حياتنا بصفة عامة يعد تجاهلاً لحياتنا كلها، ولو اقعنا الذي نعيشه**".

لون آخر من علماء نجد:

نادرًا ما يشير عالم نجدي في طبقة الشيخ إلى زواجه، فضلاً عن الكتابة عن زوجته، في مذكراته ورحلاته، وينشر فضائلها، ويبسط القول في محامدها. ولكن الشيخ أبا محمد لون آخر من العلماء، فذ قليل النظير، وكان -بحق- سابق زمنه وعيًا وإدراكًا. بل كان فريد عصره ووحيد دهره في سعة علمه، ورصانة تحقيقه، ورحابة أفقه، وشمول تكوينه، وثراء موارده، وغزارة آثاره وتنوعها، وبحثه وتنقيبه، وعلو همته، وعزمه وتصميمه، ودأبه المتصل، وانقطاعه للبحث وأمانته فيه، وإبداعه وجرأته، وشجاعته وصلابته، وجلده ومقارعته، وحياده ونزاهة رأيه، وتقبله النقد، وقوة ذاكرته، ودقة فهمه، وتوقد ذهنه، ووضوح أسلوبه، وحضور بديهته، وعميق درايته بالمخطوط والمطبوع، ووعيه الاجتماعي، وجوده بعلمه وماله وجاهه، وكثرة رحلاته العلمية

المبكرة التي فتحت له أبوابًا فسيحة في النظر إلى الحياة والنفس والناس والمعرفة.

ومن الشهرة بمكان دور الشيخ القدير المبكر في المطالبة بمنح المرأة حقها في التعليم من خلال مجلته ثم صحيفته (اليمامة) في أوائل عهد الملك سعود، فضلاً عن ريادته في النهوض بتعليم البنين في عهد الملك عبدالعزيز، وجهوده العظيمة في تأسيس الصحافة والطباعة في (نجد).

لولا المشقة ساد الناس كلهم:

كم عانى الشيخ وأسرته -في سبيل نشر أفكاره وقيمه ومبادئه، وتنفيذ أولياته الوطنية ومبادراته التنموية والحضارية- من عسف، وتعنت، وتدليس، ومكابرة، ومصاعب، ومكايد، ووشايات، وتجاوزات، ودسائس، ومثبطات، وعقبات متتابعة نُصبت في طريقه، أضرت به كثيراً وآلمته، وكادت تقعد به، وتذهب بمشروعاته التراثية والثقافية والصحافية أدارج الرياح.

ولكنه -بتوفيق من الله، ثم بقوة إرادته، ووضوح رؤيته، وروحه الوثابة التي لا تستكين ولا تعرف اليأس، وما لقيه وسَعِد به من دعم الأمراء ثم (الملوك): سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبدالله، وسلمان، وما ألفه من زوجته الفاضلة الحكيمة من رأي سديد، وعون وسند وتأييد، وصبر ومصابرة على ضيق الحال والاغتراب وفاجعة رحيل ابنهما البكر محمد (ت١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)-؛ مضى قدمًا في طريقه، ووطن نفسه لما سيواجهه من متاعب؛ حتى أصبح ملء السمع والبصر، ونال

مطلبه، ووصل إلى ما أراد له المولى -سبحانه- أن يبلغه في مقامات العلم، والمعرفة، والعطاء، والتأثير، ونفع الناس.

إنصاف بعد إجحاف!

لعل الشيخ في نهاية المطاف وفي الثلث الأخير من حياته الحافلة، ثم بعد رحيله (ت١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، كان أكثر علماء عصره حظًّا بألوانٍ من التكريم والتقدير والتبجيل والتوقير والعرفان، ونيلاً للجوائز والأوسمة والشهادات الفخرية، وتسمية للمعالم والقاعات والطرق باسمه، فضلاً عن مئات المؤلفات والدراسات والبحوث والمقالات التي كُتبت عنه ممن عرفه أو عرف فضله على العلم وأهله.

إضافة إلى آلاف الندوات والمحاضرات التي أقيمت في مجلسه بعد وفاته في ضحى كلِّ يوم خميس ثم كلِّ يوم سبت، وما تزال مستمرة منذ نحو ثلاثين عاماً.

وبكل حال فإن إطالة القول في الشيخ وصاحبته ضرورة ثقافية واجتماعية، وما حفلت به حياتهما من جهاد وأمجاد، وما تركه علّامة الجزيرة وراءه من آثار عظيمة وأعمال جليلة؛ يغني عن كثير من الأقوال والشهادات.

رحم الله الشيخ حمدًا، وشمله برضوانه، وسائر أمواتنا وأموات المسلمين، وحفظ (أم محمدٍ) وأمد في عمرها في عافية وهناء، وجزاها خيرًا كفاء ما قدمته لأسرتها، وزوجها، وذريته، وتراثه، ومؤسساته من الرعاية والعناية والحماية والحراسة والنماء.

معجم اللغويين السعوديين ونتاجهم البحثي

ظهرت حركة الترجمة للأعلام العرب منذ وقت مبكّر في عمر التدوين بالعربية، وهي فكرة عربية أصيلة، بدأها أهل الحديث ثم انتقلت إلى اللغويين والأدباء وشملت بقية العلوم، وهي على نوعين: تراجم خاصة بأصحاب فنّ أو بلد أو عصر، وتراجم عامّة لكل من غبَرَ مِنَ الأعلامِ العرب على مرّ العصور، ولهذه التآليف قيمة لاتخفى على من يشتغل في أيّ فنٍّ، ففيها يستبين المتعاصرون من الأعلام، وتُعرف أحوالهم، وماكان من آثارهم، وكثير من المخطوطات مجهولة المؤلف نُسبت إلى أصحابها بعد قرون بسبب جملة ذكرها من ترجم للمؤلف، ولهذا أمثلة كثيرة موجودة في مقدمات المحققين، وامتدادًا لهذا العمل الذي لايكاد يخلو قرن من التأليف فيه، أخذ الدكتور عبدالرزاق الصاعدي على عاتقه عمل معجم للغويين السعوديين منذ نشأة هذه الدولة المباركة ١٣١٩هـ حتى وقت صدور المعجم ١٤٤٥هـ.

صدر المعجم عن مركز الملك سلمان العالمي لخدمة اللغة العربية، فجاء في ١٣٧٣ صفحة، مقسّمة على جزأين، ترجم فيه لأكثر من ٧٠٠

لغوي ولغويّة سعوديين ممن لهم مؤلفات أو أبحاث أو رسائل ماجستير أو دكتوراه في اللغة، وأردفه بملحق أسماه: (لغويون سعوديون مغمورون) ذكر فيه ٤١ لغويًّا وأورد ما وقف عليه من سيرهم.

وقد التزم المؤلف في عرض التراجم بستة عناصر رئيسية، هي:

١. البيانات الشخصية للمترجم له كاملة (الاسم كاملا ومكان الميلاد وتاريخه، وتاريخ الوفاة إذا كان متوفًّى).
٢. الوصف العلمي والجامعة والتخصص.
٣. البيانات الكاملة للرسائل العلمية وأسماء المشرفين عليها.
٤. النتاج العلمي كاملا، وهو أبرز العناصر الأربعة وأهمها.
٥. صورة شخصية للذكور دون الإناث، إلا من رغبت في ذلك منهن.
٦. نموذج من خط اليد، وصور لأغلفة بعض الأبحاث والرسائل العلمية.

ونجد السواد الأعظم ممن تُرجِم لهم في المعجم من الأكاديميين، يليهم عشّاق اللغة وهواتها- كما أسماهم- ممن لايعملون في المجال الأكاديمي.

يذكر المؤلف أنّه بدأ مشروعه قبل ٣٠ سنة من صدوره، وكان يعود إليه بين الفينة والأخرى محاولًا إتمامه، لكن الأعباء التدريسية والمهام الوظيفية التي كان يكلّف إيّاها كانت تسرق من وقته وجهده، فطالت المدّة إلى أن تقاعد وتفرّغ له فأتمّه على الصورة التي طُبِع عليها.

وكان هدفه من هذا العمل هو الإحصاء ورصد النتاج اللغوي البحثي، وليس من أغراضه التزكية والشهادة بعالِميّة أو تفرّد من ترجم لهم.

وذكر في مقدمته شيئًا من معاناته في جمع مادّة الكتاب، من ذلك أنّه وجد عنتًا من بعضهم في الحصول على خطِّ أيديهم، وبعضهم كان يرفض تزويده بتاريخ ميلاده (من الجنسين!) وجعل حديثه هذا تحت عنوان: (صعوبات ومشقات) في مقدمته، ومنه أيضًا أنّه واجه صعوبة في الحصول على تراجم بعض اللغويين، فمنهم من يرفض ذلك تورّعًا ونكرانًا للذات، فكان يبلغهم بأن الهدف هو الإحصاء وتوثيق الأعمال اللغوية للمشتغلين بهذا العلم. وكان منهم من يتجاهل الطلب حتى يلح عليه مرارًا، إذ بلغ مجموع رسائل الواتسب التي أرسلها ٧٥٠٠ رسالة، يضاف إليها ما أرسل بالبريد العادي أو الإلكتروني أو من اتصل بهم.

وهنا شهادة حقّ أسجلها للدكتور عبدالرزاق الصاعدي، تدل على جِدِّهِ في عمله وبحثه وتنقيبه، فقد ناقشت رسالتي للدكتوراه أثناء عمله على المعجم، وبعد المناقشة بأيّام تواصل معي في منصة إكس يطلب سيرتي الذاتية ونسخة من خطّي، فأرسلت ماطلب على بريده الإلكتروني، فردّ بطلب الصورة الشخصية وإكمال بعض النقص في السيرة، ويبدو أن ردّي على البريد تأخر فاتّصل بي وسأل عن بعض المعلومات التي تخصّ العمل ورسالتَي الماجستير والدكتوراه، ثم عاد بعد عدّة أيام وأرسل لي على الواتس أب يطلب نسخة أخرى من خط اليد على ورق أبيض ليحسن مظهرها في الطباعة؛ فعل هذا كلّه من

أجل صفحة واحدة في الكتاب للعبد الفقير، فكيف ببقية التراجم؟ لا شكّ أنه عاد إلى أصحابها مرارًا ليتأكد من المعلومات التي أوردها في المعجم.

وقد ذكر في آخر مقدمته أنّه شرع في العمل على الطبعة الثانية التي سيكون فيها استدراكٌ وتهذيب للطبعة الأولى، فأعانه الله على إتمامها.

د.خالد بن فهد العتيبي